حوليات آداب عين شمس المجلد ٥٠ (عدد إبريل – يونيو ٢٠٢٢)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

العدمية عند نيتشه

عايدة عبد الحميد عبد الرحمن*

أستاذ مساعد في قسم العقيدة والفلسفة - كلية الدراسات الإسلامية والعربية- بنات القليوبية "الخانكة"
Red sun 916 @ gmail .com

المستخلص:

الله في عرف الفلسفة والدين هو واجب الوجود الأزلي الأبدي،وعندما يطرح نيتشه فكرة موت الإله،وهو يعلم أن ذلك ضد الفلسفة والدين،فقد أراد أن يصدم الجميع بأنه إذا ابتعدتم عن الله فقد قتلتموه.ولكي يحمي نيتشه الإنسان من الضياع في دنيا اللامعنى،البديلة لغياب الإله،اقترح وجود الإنسان الأعلى "السوبر مان" الذي ينشأ معاني الحياة بنفسه،بناء على أن الوجود قبل الماهية "الحقيقة"،فوجود الإنسان أولا،ثم يكون المعاني التي تحقق ذاته.واهب المعاني ومعطي الحقيقة هو الله،وعلى الإنسان فقط أن يؤمن بذلك،خاصة أن ذلك مغروس في فطرته،واقتنع نيتشه في نهاية الأمر بذلك

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله،والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أهله وصحبه وسلم

مقدمة:

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) ثبتنا يا الله على نور الإيمان والمعرفة،فلا نميل عن الحق جهلا أو عنادا،وعافنا عن ما ابتليت به الزائغين عن الحق،فصدوا عن السبيل.

أعلى مراتب الإنسانية أن تكون عبدا لله.يدعي فلاسفة الإنسانية أن ذاتية الإنسان تتحقق بحريته،فإذا لم يكن الإنسان حرا،فهو ليس بإنسان،ويحضون الناس على البعد عن الله وأمانه،وأن يخترعوا لأنفسهم معاني وقيم،بعيدا عن الله

الحقيقة والواقع،أنك لست حرا.حريتك فقط،في اختيارك بين الإيمان و الكفر،وبين الخير والشر.لو كنت حرا أخرج من الدنيا وعد بإرادتك،ولن تستطيع. السوبرمان "الإنسان الأقوى"هو المستغني عن الإله "كذبا"- فالله هو الغني،وكل ما سواه فقير-،يقيم قيمه ومبادئه بنفسه،يؤسس معاني حياته بنفسه،بعيدا عن الله

إقامة المعاني هو حق الله الأصيل،فأنت إنسان بمعاني الإنسانية،التي أقامك الله بها.هل من القوة وحرية الإرادة،أن تسلب حق الغير؟!الذي لن يمكنك منه.إذا سلبته فهي وقاحة واغتصاب،ولو تجرأت على حق الله،وتعديت على ملكة،وحقه الأصيل،فهي لعنة،تلاحقك في حياتك ومماتك،أنت ومن اتبعك

إذا غاب الإله،فلا ضمان ولا أمان ولا حقيقة ولا معنى،الله واهب المعاني والنعم(عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا).هو الأول والأخر لذلك هو الله،هو الحي القيوم الذي لا يموت،من أجل ذلك هو الله.فوجود الله هو شرط المنطق لتبقى المعاني والأخلاق.

يخرج علينا من حين لآخر،من يدعو إلى حصر الدين في المساجد،والتحرر من وصاية علماء الدين،وممارسة الحياة بما يطبقه الغرب من مناهج وأساليب،لكي ننهض ونتقدم مثلهم،ويرجون الناس الابتعاد عن أوصياء الدين،فهم ليسوا اقل منهم عقلا ولا ثقافة.

هم يعلمون أن ليس على ديننا الإسلامي وصاية،بل له حفظة وحماه (وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى).هم في دعوتهم مقلدون الغرب،الذي سبقهم بنفس الدعوة،فقد طلب نيتشه من الغرب التحرر من تعاليم الكنيسة وسيطرة القساوسة،لكي يتقدموا،بعدما وجد أن تعاليم الدين لا تنفذ،وأن به من المبادئ ما يؤدي إلى ضعف الإنسان،فينتج العبيد،وهو يريد الأسياد.

فطرح نيتشه فكرة موت الإله،لكنه خص طلبه بالمتميزين من الأوروبيين،لإبداع كل ما ينهض بهم من الفكر والعلم،وترك العامة أصحاب القدرات المحدودة،لتعاليم الدين فهو الرفيق بهم والأنسب لهم.فعلى كل النابغين والنابهين من أمتنا أن ينهضوا بأمتنا،بكل ما يلهمهم الله به من علم العارفين،وبما ينشره الله من رحمته،ليعلموا الناس ما يحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة،مع ما علمه لنا الدين

فيا أصحاب الدعوة النشاز قد فشلتم حتى في النقل والتقليد.طرح نيتشه فكرة الإنسان الأعلى،حر الإرادة لإبداع معاني جديدة،ليقود نفسه والمجتمع إلى السعادة،وهو يعلم أنه لا عز إلا بالقرب من الله،ولا معاني ولا قيمة ولا سعادة،إلا ما علمه لنا الله،واهب القيمة ومتفضل الرحمات،فانتهى به الأمر إلى المرض والهذيان.هذا هو موضوع البحث:العدمية في فكر نيتشه

يكون البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول :من هو نيتشه ،يتكون من مبحثين

المبحث الأول:أشهر ما ألف فريدريك نيتشه

المبحث الثاني:تقدم العلم على أسس الدين

الفصل الثاني:الآثار المترتبة على موت الإله،يتكون من أربعة مباحث

المبحث الأول:تعريف العدمية

المبحث الثاني:المظهر السلبي للعدمية

الفصل الثالث :علاقة الكنيسة بالدين المسيحي

المبحث الأول:أثر القساوسة على تعاليم المسيحية

المبحث الثاني:تعاليم المسيحية بعد السيد المسيح

المبحث الثالث:موقف البوذية والمسيحية بعد زعم موت الإله

المبحث الرابع:إعادة اعتبار الإنسان

الفصل الثالث:المظهر الإيجابي للعدمية ،يتكون من ثلاثة مباحث

المبحث الأول:الواجب على الإنسان بعد موت الإله

المبحث الثاني:فكرة العود الأبدي

المبحث الثالث:خرافة موت الإله

والخاتمة

قال أرسطو: "مازلت أشرب ولا ارتوي حتى عرفت الله.فرويت من غير شرب".وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين.

الفصل الأول

من هو نيتشه

ولد فريدريك نيتشه عام ١٨٤٤:١٩٠٠ بمدينة ريكن بروسيا،نشأ في أسرة مسيحية برفقة أمه وشقيقته حفيدا لكاهنين،بعد أن مات أبوه الراهب البروتستانتي،وهو في سن الخامسة.درس اللغويات والآداب الكلاسيكية،يتمتع بملكة الشعر والتلحين،وعمل أستاذا في فقه اللغة،قبل الانتهاء من إعداد رسالة الدكتوراه في فقه اللغة(قد منح هذه الدرجة،وهي إحدى المؤهلات المطلوبة،لذلك المنصب على عجل،وذهب إلى بازل عام ١٨٦٩،وأصبح من الرعايا السويسريين)[١].

عانى نيتشه من عدة أمراض،بسبب مشاركته في الحرب بين ألمانيا وفرنسا،أثر عليه تداعيات ثورة عصر التنوير في أوروبا،التي جعلت رؤية الفلاسفة للكون،من خلال قوانين الفيزياء والنظريات العلمية الحديثة،لا من خلال سيطرة إله هو أساس المعرفة،ومصدر للأخلاق والقيم عند الغرب لسنين عديدة.فلم تحتج الحكومات إلى الالتفاف على معنى الحق الإلهي،لتكتسب شرعية وجودها،بل موافقة ورضا من المحكومين.يرى نيتشه أن أوروبا قد استغنت عن الإله،ليقوم الفلاسفة والعلماء بهذا الدور للبشرية.

تَطوُّر عصر التنوير،أدى إلى تدقق للأفكار الفلسفية و الاجتماعية،وظهور حركات سياسية ثورية،مبنية على النظام الرأسمالي،بالإضافة إلى ثورة صناعية سيطرت فيه الفلسفات الحسيَّة والعقلية،أدت إلى صراع فكري بين المادية واللاهوتية والعقلية،كان هدفه تكوين فكر جماهيري،مناهض للفكر الارستقراطي المحافظ،الذي انتهى دوره بضعف النظام الإقطاعي،وتراجع دور الكنيسة،ليحل فكر التقدم الإنساني،متمثلا في قدرة العقل في السيطرة على الطبيعة لصالح الإنسان،وتنحية الفكر الميتافيزيقي جانبا،بحجة أن العقل هو المصدر الصحيح للمعرفة.ومؤلفات نيتشه(يمثل كل كتاب من كتبه،انتصارا شاقا على عينيه نصف الضريرتين،وعلى نوبات الصداع الحادة،وعلى الآلام الجسمانية المتعددة)[٢]عانى من مشاكل نفسيّة في المرحلة الأخيرة من حياته فقد أقعده الشلل والهذيان،عملت شقيقته على نشر أعماله الفلسفيّة،ولم تلقَ قبولًا إلا بعد وفاته،فقد أصبحت من أشهر الكتب في علوم الفلسفة.قال عنه سجموند فرويد(يعرف نفسه معرفة ثاقبة،أكثر من أي إنسان آخر عاش،أو من المحتمل أن يعيش.ولاحظ فرويد أيضا أن تنبؤات نيتشه ولمحاته الثاقبة ،تتفق على أعجب نحو ممكن،مع النتائج التي وصل إليها التحليل النفسي،بعد كثير من العناء)[٣]

المبحث الأول

من أشهر ما ألف فريدريك نيتشه

كتاب إنساني مفرط في إنسانيته:يتناول الكتاب عدة موضوعات. مثل الميتافيزيقا، حاول تفسيرها وبيان منابعها،وأعلى فيه نيتشه من مكانة العلوم الطبيعية.وعارض المفهوم المسيحي للخير والشر.نسب الفضل إلى العمل الجاد في الإبداع،ولمح إلى فكرة الإنسان الأعلى،نشر الكتاب بالألمانية عام ١٨٧٨

كتاب العلم المرح :يبحث فيه نيتشه عن تطور المعرفة الإنسانية،وما يفرض عليها من القيود المسيحية،ورغم انعدام الحقيقة المطلقة،فالسعي وراء العلم ضروري لتجديد المعرفة الإنسانية،والتخلص من الأفكار الزائفة،ويشيد بدور الفلسفة في تحرير الفرد،ويشير أيضا إلى الكثير من أفكاره،مثل "العود الأبدي" و"موت الإله".نشر كتاب العلم المرح بالألمانية عام ١٨٨٢

كتاب هكذا تكلم زرادشت:أشهر مؤلفات نيتشه،ترجم إلى معظم لغات العالم،عرض فيه نيتشه أفكاره،وهو يتحدث على لسان زرادشت المصلح الديني عن العود الأبدي،ويقدم فيه مفهوم الإنسان الأعلى،الذي يتفوق على الإنسان العادي،يتحدث فيه عن "إرادة القوة" التي تبدو أحيانًا كمفهوم نفسي أو بيولوجي أو كوني،كقوة محركة للبشر نحو الترقي وإنفاذ الإرادة.نشر هذا الكتاب في أجزاء متفرقة بالألمانية ما بين
عام ١٨٨٣ و١٨٨٥

كتاب ما وراء الخير والشر:يهاجم فيه نيتشه الفلسفات الدوجمائية الجامدة،والمنظومة الأخلاقية للمسيحية،معلنًا عبثية إلزام جميع الناس بمنظومة أخلاقية واحدة.نشر كتاب ما رواء الخير والشر بالألمانية عام ١٨٨٦

كتاب جينالوجيا الأخلاق :وجه نيتشه النقض فيه إلى الأخلاق المسيحية واليهودية، من خلال الحديث عن أخلاق السادة وأخلاق العبيد،حيث أنشأ الأقوياء الأصحاء الأحرار النوع الأول من الأخلاق،و العبيد والضعفاء في المقابل،أوجدوا أخلاقهم الخاصة التي تخدمهم،وفيها صار وهم "الأخيار"وصار الأقوياء نافذي الإرادة "أشرارا".نشر جينالوجيا الأخلاق بالألمانية عام ١٨٨٧.جينالوجيا الأخلاق هي وسيلة للفلسفة وللنقد والتقويض،ومنهج تاريخي يؤيد الصيرورة والتطور،لا الهوية والتطابق

كتاب نقيض المسيح :كتاب يدعو إلى قلب كل القيم،ينقض فيه نيتشه المسيحية،ويطرح تجديد القيم لبناء مجتمع إنساني قوي،مؤكدا على مشروعية انتزاع الحق الذي كان حكراً على المسيحية والكنيسة،وهو حق اللعن.

يقدم نيتشه فلسفته، محاولا "إعادة تقييم" للقيم القديمة،ينتقد مسيحية القساوسة التي أسسها بولس،و يقدم تحليلا نفسيا لشخصية يسوع،وينتقد الشفقة،ويهاجم اللاهوت المسيحي والفلسفة الألمانية الفاسدة من وجهة نظره،كما ينتقد مفهوم الإله اليهودي المسيحي،ويقارن المسيحية بديانات أخرى كالبوذية،مؤكدًا على تفوقها في أوجه كثيرة. نشر كتاب نقيض المسيح في عام ١٨٨٨

كتاب هذا هو الإنسان :طرح فيه نيتشه حياته التي امتزجت فيها المأساة مع الفكر.عرض فيه مسيرته الأكاديمية التي جعلته أصغر أستاذ لكرسي فقه اللغة الكلاسيكي بجامعة بازل في تاريخها – إذ نالها قبل إتمامه الخامسة والعشرين – إلى مرض الزهري ونوبات جنون متتالية خلال العقد الأخير من عمره.خلال تلك السنوات تابع نيتشه الحرب وشهد ويلاتها،وعاش قصة حب فاشلة،وعانى عزلة أكاديمية وأزمات صحية أجبرته على التقاعد.يعرض نيتشه معاناته بأكملها في هذا الكتاب،ويقدم فيه صورة جديدة للفيلسوف،ويحلل فيه أفكاره.كتب نيتشه هذا الكتاب قبل وفاته بعامين،أي عام ١٨٨٨،ونشر للمرة الأولى عام ١٩٠٨

المبحث الثاني

تقدم العلم على أسس الدين

عصر التنوير هو حركة أوروبية فكرية علمية وفلسفية،معروفة باسم حركة "النهضة الإنسانية".هيمنت على عالم الأفكار في القارة الأوروبية خلال القرن الثامن عشر(التنوير هو خروج الإنسان من قصوره الذاتي،والقصور هو عجز الإنسان عن أن يكون لنفسه عقلا،دون أن يستعين بسواه)[٤]

نقض فلاسفة التنوير جان جاك روسو،فولتير،ديفيد هيوم،وتوماس هوبز،الفكر الميتافيزيقي الغيبي،الذي ساد في العصور الوسطى،ودعوا للعودة إلى المعاني الإنسانية،لأنها منبع الأفكار لديهم في الواقع الاجتماعي.في الثورة الفلسفية في ألمانيا تأسست الفلسفة النقدية على يد كانط،إلى الفلسفات السابقة،ويرى نيتشه(إن نجاح كانط لا يعدو كونه نجاح لاهوتي.لقد كان كانط مثل لوثر مثل لابنتيز كابحا إضافيا لنزاهة ألمانية هشة)[٥].و بسبب الظروف السياسية والفكرية في القرن التاسع عشر ظهرت الحركة الرومانسية في ألمانيا،تعارض حركة التنوير،و نموذج للوحدة يرتبط به الشعب الألماني لحنينه إلى الماضي،هدف هذه الحركة التي امتدت إلى باقي دول أوروبا،أن تُخضع الفرد لسلطان الدولة والكنيسة،وربط التجربة بالعقل المجرد.

رفض مذهب الواقعية المادية،ما وراء الطبيعة،ونتيجة لذلك ظهرت نظرية كارل ماركس في المادية التاريخية،و عبر نيتشه عن كل هذه الأحداث بإنسان القرن التاسع عشر،الذي(طرح عنه ما كان له من قيم عليا،ظل يعتقد أنه كان مخدوعاً فيها،فإلى اليأس،فإلى الإنكار،فإلى التشكيك)[٦](لا تمثل الإنسانية تجسيداً نحو الأفضل والأقوى،أو الأرقى،كما يسود الاعتقاد اليوم.فالتقدم مجرد فكرة حداثية،يعني فكرة خاطئة،وأوروبي اليوم يظل من حيث قيمته،أدنى بكثير من أوروبي عصر النهضة،والتطور لا يعني بالضرورة،صعوداً وارتقاء وازدياد قوة)[٧]

يعتقد نيتشه أن صعود العلم الذي جاء متلازما مع عصر النهضة وعصر المنطق، أضعف من تمسك الإنسان بالدين،ومن ثم بالقيم العليا،وعندما بدا للإنسان أن الكون تيسر فهمه،تبين له أنه بلا معنى.إن نتيجة الافتقار إلى الدين لا يكون إلا تدمير البشرية.من أجل هذه الفكرة،خصص نيتشه الكثير من مؤلفاته،لمناقشة الآثار المترتبة على تقدم العلم السريع،الذي استطاع قلب حياة الإنسان رأسا على عقب،وهو يدرك أنه صعب إدراكه،لأنه لن يتوقف

أثر تقدم العلم على أسس الدين

تسبب تقدم العلم في أوربا في العصر الحديث،إلى هدم أسس الدين المعرفية، والسعي وراء الملذات،التي تسببت في هدم أسس الدين المسيحي الأخلاقية.وتطور الفلسفة والفكر الإنساني،سلب سلطة الدين الاجتماعية.و انتبه نيتشه أن المسيحية بالإضافة إنها دين،فهي منهج المجتمع الأوروبي الفكري والأخلاقي،فعبر عن ذلك بفكرة موت الإله(إن الإله قد مات،والآن نريد أن يحيا الإنسان الأعلى)[٨]

غياب الدين يعنى فقدان المنهج والأساس،والإحساس بفقدان التوازن والحيرة المرعبة(عندما نتخلى عن الديانة المسيحية،يكون علينا أن نتخلى أيضاً عن الحق في الأخلاق المسيحية.غير أن هذا الأمر ليس بديهياً على الإطلاق،وعلى المرء أن يظل يكرر طرح هذه المسألة إلى النور.إن المسيحية نظام ورؤية كلية ومتكاملة للعالم،إن نحن انتزعنا فكرة أساسية منها:الإيمان بالإله،نكون قد حطمنا الكل:لن يكون بين يدينا من بعدها شيء ضروري)[٩]

دعوى موت الإله تهدم كل الثوابت،تفقد الأسس الأخلاقية ثباتها،تلغي المعاني من الحياة،وتحولها إلى حالة من العدم.هذه العدمية عبر عنها نيتشه بموت الإله،يعني موت القيم الإنسانية،وموت عالم المثل والقيم العليا،التي تقوم على أساس العقل،الذي يؤمن بكل ما هو عقلي مثالي،ويرفض العالم الحسي المادي.بسبب ابتعاد الإنسان الأوربي عن الالتزام بمبادئ المسيحية،أطلق نيتشه دعوى موت الإله،الذي يعبر به عن الشعور بالقلق والتوهان عند الناس،وعن شدة التوتر من فقدان المسيحية تأثيرها على أوروبا،الذي من تداعياته،تنحية المسيحية من الحياة العامة

الفصل الثاني

الآثار المترتبة على موت الإله

أفضل ما يمنح الإنسان الأمل وحب الحياة والشعور بالسعادة هو الدين،الذي يدفع الإنسان للإيمان بالله،لأنه يعلم أن الحياة تستمد معناها وقيمتها من قبل سلطة عليا.إذا فقد الإنسان كل هذه المعاني تسود العدمية.فعندما يستثنى الله وترفض المسيحية،تبقى العدمية.وسبب حتمية العدمية في عصر نيتشه(لأن قيمنا ذاتها التي سادت حتى الآن،تستخلص آخر استنتاجاتها من خلال العدمية،لأن العدمية هي آخر مآل منطقي لقيمنا الكبرى ولمثلنا الأعلى،لأنه علينا أولا أن نجتاز العدمية،لكي ندرك القيمة الحقيقية لهاته ال"قيم"التي سادت فيما مضى.مهما تكن هاته الحركة،فإننا سنحتاج يوما إلى قيم جديدة)[١٠]

ما حصل من التناقض بين عالمين،عالم التبجيل وعالم الواقع،أوجد العدمية(العالم الذي نبجله،والعالم الذي نعيشه،الذي نشكله نحن.ولا يبقى أمامنا سوى أمرين،إما القضاء على تبجيلنا،وإما القضاء على أنفسنا بأنفسنا.وهذه الحالة الأخيرة هي العدمية)[١١]التي ترفض وجود حقائق أبدية

المبحث الأول

تعريف العدمية

العدمية عند نيتشه هي غياب الهدف(أن تنخفض قيمة القيم السامية)[١٢] تشكل العدمية حالة مرضية وسيطة،المرضية هنا هي التعميم الكبير،هي الخلاصة التي لا ينتج عنها أي معنى. أما إن القوى المنتجة لم تصر بعد قوية بما فيه الكفاية،وإما الانحطاط لا زال يتردد،ولم يبتكر وسائله بعد[١٣]للعدمية التي تفيد

يشترط نيتشه لهذه الفرضية:لا ثبات،لا آصاله للمعاني(ليست هناك حقيقة،إنه ليس هناك وضع مطلق للأشياء،ليس هناك "واقع مطلق"وما هذا نفسه إلا عدمية،وعدمية في أقصى صورها.إنها تجعل قيمة الأشياء في كون آية حقيقة لا تطابق،ولم تطابق هذه القيم،وكونها مجرد علامة على قوة محددي القيم،وتيسير من أجل الحياة)[١٤]

حول نيتشه التفكير الفلسفي في القيم، من الاعتماد على الدين،إلى الاعتماد على العلم التجريبي.نحى الفلسفة الميتافيزيقية جانبا،بحجة أنها معزولة عن الواقع،وجلب علم الطبيعة وعلم النفس لمجال الفلسفة،لينفتح الطريق للعلم التجريبي،ويشارك الفلسفة من خلال (فلسفة العلم) التي تتعامل مع الواقع اليومي،بعلاقته بين العلم والحياة اليومية للتوفيق بينها.بمصطلح العدمية،يصف نيتشه الحالة الفكرية التي تعيشها أوروبا،نتاج تاريخها الميتافيزيقي،فلو لم تقم الفلسفة على الميتافيزيقا،لما وصل الحال الأوروبي إلى العدمية،ويرجع نيتشه العدمية إلى ثلاثة أسباب

١-الغاية:الذي يمنح الأشياء المعاني هي الغاية،وخيبة الأمل في وجود هدف بسبب الصيرورة،التغيير الدائم وعدم الثبات في كل أحوال العالم،يسبب العدمية(وخيبة الأمل هذه ترتبط إما بهدف محدد،وإما بادراك أن كل الفرضيات التي وضعت حتى الآن،بخصوص الغاية غير كافية،مقارنة مع التطور بأكمله.بحيث لم يعد الإنسان يظهر بمظهر المتعاون،ولا حتى بمظهر مركز الصيرورة)[١٥]

٢- الوحدة (وحدة الوجود):بعد شعور الإنسان باتحاد كبير مع كائن كلي،وتبعيته له ،فقد الإنسان الإيمان بقيمته التي كان يشعر بها من أتباعه لكائن عظيم،فلم يعد يعتمد على كائن كلي،يعينه في كل شيء(مادام الكائن الكلي العزيز غير كامن وراء تصرفاته،وهو ما يؤدي بنا إلى القول:بأنه قد ابتكر هذا الكائن الكلي،ليضفي المصداقية على قيمته هو)[١٦]

٣- الحقيقة:هي نفى وجود عالم ما وراء الطبيعة،عالم الثبات،لأن العالم الحقيقي في صيرورة دائمة،وتغير مستمر(نقبل بكون حقيقة الصيرورة هي الحقيقة الوحيدة،ونحرم على أنفسنا كل سبيل ملتوية تؤدي إلى الماوراء،والى آلهة مزيفة.ولكننا لا نطيق هذا العالم،وإن كنا لا نريد نفيه)[١٧]

ثبات الفكر الفلسفي حول الميتافيزيقا والكائن المطلق،أدى إلى العدمية في العصر الحديث،الوصول إلى الشعور باللاقيمة.أدرك نيتشه أنه لا يمكن(تفسير الطابع العام للوجود بفكرة الغاية،ولا بفكرة الوحدة،ولا بفكرة الحقيقة،كل هذا لا يؤدي إلى تحقيق أي شيء)[١٨].في ظل عالم التغيرات والقفزات والتحولات السريعة(فالوحدة التي تحدث في خضم تعدد الأحداث لا وجود لها.وطابع الوجود ليس حقيقيا،بل مزيف.مؤكد إنه لم يعد هناك سبب معقول،يجعلنا نقنع أنفسنا بوجود عالم حقيقة.باختصار أن مقولات:السبب الغائي والوحدة والكينونة،التي أضفينا بها قيم على هذا العالم،قد سحبناها نحن،فأصبح العالم منذ ذلك الحين،يبدو وكأنه بلا قيمة)[١٩]

العدمية:هي الاعتقاد بأن جميع القيم لا أساس لها،ولا يمكن معرفة أي شيء أو الاتصال به،هي افتقار الحياة للمعنى،لا يوجد معنى أو قيمة متأصلة في مسالة معينة،هي ألا تؤمن بأي شيء،هي(التخلي الجذري عن القيمة،عن المعنى وعما يرغب فيه.لا قيمة تعزى إلى القيم السامية،لقد تهاوت على ذاتها،كل من البناء الفكري المسيحي الضعيف في بنائه الكاذب) [٢٠]

العدمية ثلاثة أقسام :فلسفية وأخلاقية وسياسية

١- العدمية الفلسفية:إما مطلقة،تنكر وجود كل شيء،أو نقدية،تنكر قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة(وهي في كلا الحالين مرادفة للريبية)[٢١].تعلن أن الكون ليس مفهوما كليا،وأنه لا يوفر أساسا للأهداف والمبادئ البشرية،و الاعتراف بعدم قيمة أي شيء في الكون،وتنفي أي معنى للحياة البشرية.تظهر العدمية المعرفة الإنسانية في شكل من أشكال الشك الفلسفي،الذي يصعب معه المعرفة،ولو وجدت فغير قابلة
للتحقق،والتأكد من صحتها

٢- العدمية الأخلاقية،إما مذهب نظري ينكر القيم الأخلاقية،ويبطل مراتبها،أو نزعة فكرية،(دلت على خلو العقل،من تصور هذه القيم)[٢٢].تنفي العدمية الأخلاقية الشعور بالالتزام الأخلاقي،أو موضوعية المبادئ الأخلاقية،أو رؤية الشيء من وجهة نظر أخلاقية.ترفض العدمية الجوانب العامة الأساس للحياة الإنسانية،مثل الحقيقة،أو المعرفة،أو الأخلاق،أو القيم،أو المعنى.

٣-العدمية السياسية،تنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية.هي مذهب سياسي واجتماعي،اعتنقه الثوريون الروس قبل سقوط الحكومة القيصرية عام ١٩١٧(إلا أن أنصار هذا المذهب أخذوا بعد عام ١٨٧٥،يحبذون الإرهاب والاغتيال السياسي،ويعملون على هدم الأوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة،دون التفكير في الأنظمة،التي يجب أن تحل محلها.والعدمية السياسية مرادفة للفوضوية)[٢٣]

تعني العدمية،أن العالم والوجود الإنساني،ليس له قيمه أو معنى أو غاية أو حقيقة ،وكل القيم ليس لها أساس من الصحة،فلا يمكن معرفة أو بلوغ أي شيء.هي شعور متأصل في النفس،تبدأ دائما بالتشاؤم،بغض النظر عن المشاكل والمصاعب والألم، الذي يتعرض إليه الإنسان في حياته،تكون الحياة دون قيمة أو معنى أو هدف. العدمية لا تلتفت لوجود الإله أو عدمه،ولا يجب أن يجهد الناس أنفسهم في هذا الموضوع.مسألة الوجود الإلهي عند العدمي مسألة عديمة القيمة،سواءً وجد الإله أو لم يوجد،فلن يعطي ذلك قيمة للإنسان،هو من يعطي لنفسه المعنى والقيمة

العدمية عند نيتشه:لا تعني بث اليأس واللاشيء في نفوس الناس،هي فكر(يفيد بانهيار سُلّم القِيم التقليدية،وتأكيد إنسانية الأخلاق،وبمعنى آخر،سقوط نظام المعايير والسلوك القائم على التسليم بتلك الفكرة،فعندما ألغينا العالم الحقيقي؛أي عالم سيظل هناك؟ربما العالم الظاهري؟كلا! فمع العالم الحقيقي،قد ألغينا أيضاً عالم الظواهر)[٢٤]،هي مواجهة صريحة لحقائق الوجود،فبإعلان نيتشه موت الإله،يظهر
معاني جديدة في ميدان الأخلاق

قول نيتشه أن الله قد مات،يشير إلى سقوط الإنسان في هاوية العدمية،بسبب ضعف
الإيمان و القيم،في عصر طغى فيه العلم والماديات،وعلى الإنسان الخارق أن يحل بديلا لتلك القيم،التي لم تعد تستطيع أن تحافظ على الإنسان.قد يكون التفسير العلمي للوجود تفسير أجوف مصطنع يحول المعاني الجميلة إلى أرقام مادية،يرى فقط المبادئ الميكانيكية للعالم،ويتجاهل المعاني والأحاسيس والمشاعر.وعالم الميكانيكا في الأساس لا معنى له،يقيم كل شيء في صورة أعداد و إحصائيات،حتى لو كانت مشاعر أو أحاسيس أو فن أو معاني،تترجم في صورة أرقام مجردة،لا يدركها الإنسان أو يفهمها،ولا يستوعب حقيقة ما بها من المعاني. يعني موت الإله عند نيتشه التخلي عن القيم،والبعد عن العقيدة (إذا علمنا أن الإله قد مات،أن الاعتقاد في الإله (المسيحي) قد فُقدت فيه الثقة،يبدو لبعض النادرين،على الأقل، المزودين بشك نقاذ بما فيه الكفاية،بنظر جد دقيق لرؤية هذا المشهد،أن شمساً قد أفلت،أن ثقة عميقة قديمة،قد تحوّلت إلى شك)[٢٥]

بموت الإله ينهار الاعتقاد،وينهار كل ما أسس وبني على هذا الاعتقاد،وأيضا يبدأ الفلاسفة لصنع فكر جديد.بموت الإله يزول النظام القديم،وينشأ نظام جديد،قد يكون أمراً جيداً لبعض الناس،لكنه لا يخلو من المخاطر،التي تُبرز أسوأ ما بداخل الطبيعة البشرية.تزول المعاني،ويظهر عالم العدمية الخالي من المعاني والقيم،فالعدمية عند نيتشه هي فقدان القيم معانيها.و لابد أن ينهض الإنسان من جديد(في الواقع،إننا نحن الفلاسفة،نحن العقول الحرة عند سماع خبر،أن الإله القديم قد مات،نحس وكأن أشعة فجر جديد،قد لمستنا)[٢٦]. يتحدث نيتشه عن مظهرين للعدمية:

المظهر الأول للعدمية:يوصف بالمظهر السلبي،يلقبه نيتشه بالانحطاط

المظهر الثاني:يمثل مظهر العدمية الإيجابي،هي العدمية الإنشائية،تمثل الأفق الجديد
للتفكير عند الغرب المعاصر

المبحث الثاني

المظهر السلبي للعدمية

يتمثل في نقض نيتشه للقيم المسيحية،وبين آثارها السلبية التي تسببت في تدمير كل المعتقدات الأخلاقية والدينية،وتعجّل بأصعب أزمة في تاريخ البشرية.فلا تظهر العدمية طالما هناك أمل أو معنى أو هدف من الحياة.القيم المسيحية تتجه إلى مناقضة الغرائز الحياتية،وتنكر على الإنسان الحياة،وتكبت الغرائز الإنسانية بحجة تطبيق القيم الأخلاقية،(أما الأخلاق المنافية للطبيعة،أو تقريبا كل ما ظل يلقن ويحاط بالإكبار ويكرز له من أخلاق إلى حد الآن،فإنها تتجه بالعكس من ذلك،إلى مناقضة الغرائز الحياتية بالذات،وهي إدانة لتلك الغرائز،سرية حينا،علنية ووقحة حينا آخر)[٢٧]

القيم المسيحية تقر بان الله عدو للحياة(وعندما تعلن:إن الله يرى ما في القلوب،فهي إنما تقول لا لرغبات الحياة الخفية منها والبادية،وتقر بالله عدوا للحياة)[٢٨].هذه المقولة،هي أصل كل القيم،الفكرية،والأخلاقية ،والسياسية،والعقدية.هي تعبير عن رفض الحضارة الغربية،وإنكار قيمة الحياة والوجود،و يصبح النفي هو المظهر الأساسي للوجود،و الإنكار هو المبدأ الأساس للإرادة

الأخلاق المسيحية والدينية عامة،تجعل من **الشفقة** شعورًا نبيلا،ففي الظاهر هي تعاطف مع الآخرين،ورغبة في مشاركتهم كل أحاسيسهم،و تنطوي في نفس الوقت على الخداع الذاتي في الاتجاه العام للأخلاق. (لقد تجرأ الناس على منح الشفقة اسم الفضيلة-بينما تعتبر ضعفا لدى كل أخلاق نبيلة،بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك،إذ جعلوا منها عين الفضيلة،وأرضية وأساس كل الفضائل)[٢٩]

فالشفقة أنانية مستترة؛تُشفق على الغير خوفا،من أن يحدث لنا مثل ما حدث له،وعطفنا عليه هو دفاع عن أنفسنا،ضد احتمال وقوع مثل هذا الضرر لنا،أو نحمي أنفسنا من شعور مؤلم ينتابنا،كلما صادفنا مثل هذه الأزمات.نشفق على الغير،مخافة أن يرتد علينا الأمر،نُشفق وفي ذهننا حالتنا نحن،لا حالة الآخرين(إن الشفقة تمثل العنصر النقيض للأحاسيس المنشطة،التي تنمي طاقات الأحاسيس الحياتية.إن لها فعل الكارب المرهق،والمرء يخسر كما من الطاقة،عندما يشعر بالشفقة.وعن طريق الإشفاق ينمو ويتضاعف تبديد الطاقة،التي يكون الألم قد ضخها داخل الحياة)[٣٠]

الفكرة القديمة للشفقة تتضمن اعترافًا بالأمر الواقع،والعجز عن تغييره،هي فقط محاوَلة جزئية للتخفيف من ضرر محتوم بقدر الإمكان.و هذا هو أعلى معاني السلبية التي تجعل الإنسان يثور على مبدأ الشفقة،وتحل الفاعلية الشاملة محلها(كنت أرى في ذلك بداية النهاية،وتوقف المسيرة،الإنهاك الذي ينظر إلى الخلف،الإرادة التي تنقلب على الحياة،الداء الأخير الذي ينم عن وجوده،عبر عوارض العطف والكآبة،ففهمت أن أخلاق الشفقة،هذه الأخلاق التي كانت تصيب حتى الفلاسفة،وتجعلهم مرضى،كانت عارضا،من أشد عوارض ثقافتنا الأوربية إزعاجا)[٣١]

حين نُشفق علي الآخرين فإننا نزيد من عجزهم،ونعترف بعجزنا عن تغيير الظروف السيئة،التي أدت إلى شعور الآخرين نحوهم بالشفقة.قد تكون بعض الظروف مما لا سبيل إلى تغييرها،فنعاهد أنفسنا على تغيير هذه الظروف،إن لم يكن في الحاضر ففي المستقبل(كان الفلاسفة يتفقون بالضبط حول القيمة السلبية للشفقة،يكفي أن نذكر أفلاطون و سبينوزا ولاروشفوكو وكنط،فهؤلاء المفكرون الأربعة على اختلافهم الكبير فيما بينهم،يتفقون حول نقطة واحدة،هي احتقار الشفقة)[٣٢]

و فكرة الغيرية،ترتبط بالشفقة ارتباطًا وثيقًا،فهي شرطها الضروري.الغيرية عند نيتشه هي الأساس الأكبر للأخلاق الشائعة،هي الصدى الذي خلفته المسيحية في تلك الأخلاق؛تتكرر بصورة مختلفة عند معظم المفكرين الأخلاقيين،هي في ظاهرها شعورًا ينم عن فيضٍ من الكمال الذاتي،ينتقل من الأنا إلى الآخر،فهي في حقيقتها وسيلة لإفقار الذات وإضعافها؛فكثيرًا ما نتجه بفاعليتنا إلى الغير،لنهرب من أنفسنا،ولا نواجهها مواجهة صريحة(بقيمة غرائز الشفقة وإنكار الذات والتفاني،تلك الغرائز التي عمل شوبنهاور بالذات على تجميلها في ناظري زمانا طويلا،بعدما ألهها وارتقى بها إلى مصاف الماورائيات،إذ أنها بقيت بالنسبة إليه،قيما بذاتها واعتمد عليها،من أجل إنكاره للحياة ولنفسه)[٣٣] فحب الجار عند نيتشه ليس تعبيرًا عن كمال ذاتي فائض،بل هو "حب سيئ للذات"،لأن بذل الإنسان كل جهوده وسعيه لكمال ذاته ،هو أمر عسير،وكثيرًا ما يحاول الهروب من مواجهة ذاته، فتتحول طاقته وفاعليته، وتتخذ شكل الغيرية.

قد ترتد الغيرية في نهاية الأمر إلى الأنانية،لأنها وسيلة لإرضاء الذات عن طريق الإفراط في الاهتمام بعلاقاتها مع الآخرين،(إن الجندي ليتوق إلى الموت في ساحة القتال من أجل إحراز النصر لوطنه؛إذ إن في انتصار وطنه انتصارًا لأعز أمانيه. وإن الأم لتمنح ابنها ما تحرم منه نفسها،كالنوم،والطعام الجيد،وفي بعض الأحيان صحتها وطاقتها؛فهل هذه كلها أحوال غير أنانية؟ أليس من الواضح أن الإنسان في كل هذه الأحوال يحب شيئًا في داخله،وليكن فكرة،أو أمنية،أو وليدًا،أكثر من شيء آخر في داخله،وأنه على ذلك يقسّم كيانه،ويقدّم جزءًا منه قربانًا للآخر)[٣٤]

الفصل الثالث

علاقة الكنيسة بالدين المسيحي

غرست الكنيسة في قلوب المسيحيين كل ما هو سلبي عن الدين،فيذكر نيتشه أن الخطيئة تلوث كل ما هو بشري،وهذا ما يبرر الحزن لدى يسوع. أما زرادشت فهو يعظ لأجل مبادئ إيجابية.بهذه المقارنة نفهم لماذا موت الإله يفرح نيتشه،فهو يمثل في نظره انهيار فكر سلبي عن الدين،لمجيء فكر إيجابي،ونتائج هذا الفرح،توجيه الإنسان نحو المثل العليا السليمة،والتنبيه في الوقت ذاته إلى قيمتها الأخلاقية.

فالأخلاق الموجودة المستنبطة من نصوص المسيحية،أخلاق لا تصلح في مبادئها العامة أو تفصيلاتها الخاصة،لتوجيه الإنسان إلى حياة سعيدة.بل تدعو إلى الهرب من الحياة،فهي أخلاق زاهدة،في فترة التدهور الأخلاقي،(المسيحية التي كانت تبخس الجسد،فقد كانت أكبر نكبة،حلت بالإنسانية إلى حد الآن)[٣٥].

رفض الجسد ومتطلباته عند الكنيسة،نموذج لرفض أعَم وأشمَل للاستمتاع بالحياة،وهو ما يمثل أخلاق العبيد .أما أخلاق السادة:هي أخلاق الأقوياء،تشعرنا بالقوة،والعلو من قيمة الحياة،وعقد العزم،على انتزاع فكرة الذنب والعقاب من العالم،الذي غرسها رجال الدين في نفس وقلب كل مسيحي،جعلوا فيها من المسيحية عقيدة الانتقام(قد عقدنا العزم خاصة،نحن اللاأخلاقيون،على التدخل بكل ما لدينا من قوة،من أجل استئصال فكرة الذنب،وفكرة العقاب من العالم،والسعي إلى تطهير السيكولوجيا والتاريخ والطبيعة والمؤسسات والأحكام الاجتماعية منهما،فإنه ليس هناك في نظرنا خصم،أشد من اللاهوتيين الذين يواصلون توبئة برائة الصيرورة،بفكرة النظام الأخلاقي للكون،وبواسطة الذنب والعقاب)[٣٦]

المبحث الأول

أثر القساوسة على تعاليم المسيحية

نتيجة ترفع المسيحية عن العالم الحسي،نفت كل متغير،وأمنت بكل ثابت وعقلي،وكل
ما هو سامي(على مر العصور والأزمنة كانت تركز نظامها التأديبي على الاستئصال،ممارسا على الحسية،وعلى الكبرياء،وعلى النزوع إلى السيطرة،وعلى رغبة الملكية ورغبة الانتقام،لكن استئصال الأهواء،يعني استئصال الحياة.إن ممارسات الكنيسة معادية للحياة)([٣٧]).فهذا الفكر المتعالي سقط بموت الإله،وفقدَتْ القيم معناها،وأصبح الإنسان وحيداً في الحياة،دون هدف أو غاية.ولحل هذه القضية دعا نيتشه إلى الإطلاع على العلم لمعرفة الحق والباطل في الدين المسيحي(والحكم الأخلاقي يشترك مع الحكم الديني في إيمانه بحقائق ليست بالحقيقية.الأخلاق ليست سوى تأويل لظواهر بعينها،أو هي بعبارة أدق تأويل خاطئ)([٣٨])

السلطة الإلهية لا تتجلى للبشر مباشرة،بل تظهر من خلال نصوص،تعرض على الجمهور بعد تحديد "النخبة" معناها وهدفها،استغلال "السلطة الإلهية" للسيطرة السياسية والمعرفية،والهيمنة على المجتمعات،من خلال(القساوسة الذين يحتلون المرتبة العليا داخل المجتمعات البشرية القديمة،كانوا يبحثون لأنفسهم عن حق يمكنهم من سن العقوبات،أو عن ابتداع حق إلهي لذلك الغرض.جعلوا من الناس أحراراً كي يجعلوهم قابلين للمحاكمة والعقاب،كي يمكنهم أن يصبحوا مذنبين،وبالتالي كان لا بد لكل عمل أن يُعتبر متأتياً عن إرادة،ولكل عمل أن يكون نابعاً من الوعي)[٣٩]

يؤول القساوسة النصوص الدينية،بإحياء مفاهيم سابقة،تحقق لهم أهدافهم،من السيادة والهيمنة على المجتمع،بكل تمكن واقتدار،حتى لو غيروا بها حقيقة الإله.يخلقون قيماً أخلاقية تخالف القيم التي وضعها السادة،يجعلون الضعف فيها فضيلة،والعجز إحسان،والجبن صبر،والخضوع لمن يبغضونه طاعة للإله،ويزعمون أن بؤسهم علامة على أن الإله ميزهم.ويصبح بذلك قيم السادة التي تصدر عن ذاتهم شريرة،وقيم العبيد التي تصدر عن عالم خارجي خيِّرة.ويظهر(الله كبؤرة لإعلان العداء ضد الحياة والطبيعة،وإرادة الحياة!الله كمبدأ لكل ثلب لا لدنيا ولكل أكاذيب الآخرة،الله الذي يؤله فيه العدم،وتحاط إرادة العدم فيه بالقداسة)[٤٠]

القيمتان الأساسيتان المتقابلتان في الأخلاق هما الجيد والرديء،ومقياس أخلاقية الفعل أن يعبّر عن روح القوة،التي يستشعرها المرء في ذاته،و أن النفوس القوية هي مانحة القيم وخالقتها.فإذا ما صدر عنها الخير،فهو يصدر عن إحساس بالقوة الفياضة. فالإرادة القوية تعبّر عن نفسها من خلال تاريخ الأخلاق،و العبيد والمضطهدون والفاشلون يعانون من تحمل ذاتهم تارة(وتارة أخرى الرديئون،هم الذين يحاولون أن يفرضوا بواسطتها القيم،التي تكون أكثر تلاؤماً مع مصالحهم)[٤١]

كل شيء يتوقف على الإرادة العميقة التي تحكّمت بقلب القيم(عندما نضع مركز الثقل لا في الحياة،بل في الآخرة في العدم،نكون قد سلبنا الحياة مركز ثقلها)[٤٢](إننا نحيا ونموت،ونضحي بأنفسنا من أجل الخير،والحقيقة والنور وملكوت الإله،وهم في الحقيقة لا يفعلون سوى ما لا يستطيعون تركه)[٤٣](إن الضعف يجعل الإنسان لطيفاً،منصفاً جداً،مسالماً جداً "إنسانياً" جداً،دين الشفقة الذي يريدون إقناعنا بتبنيه. لسنا إنسانيين،ولن نجرؤ أبداً عن التحدث عن حبِّنا للإنسانية،ليس أحدنا كوميديًّا ليمثل هذا الدور)[٤٤]

يقدم القساوسة الإله في أبشع تصور،وبكل ما ينفر منه العباد(كل إثم هو إساءة للإجلال،لا غير!التوبة،الإذلال،الاحتقار،هذا هو الشرط الأول والأخير،الذي يربط به غفرانه:إنه ترضية لشرفه الإلهي إذن! بينما معرفة إن كان الإثم يسبب أضراراً أخرى،إن كان يزرع شراً عميقاً ومتنامياً ينشر بين الناس.هذا ما لا يبالي به هذا الإله الشرقي الذي يغار على شرفه.الإثم جريمة في حقه (أي الإله)،ليس في حق الإنسانية)[٤٥] (ليتنحى عنا هذا النوع من الإلهة،وإنه لأفضل وأحب أن لا يكون هناك إله،وأن يأخذ المرء مصيره بيده،أفضل أن يكون المرء أحمق وأفضل أن يكون هو نفسه إلهاً)[٤٦]

المبحث الثاني

تعاليم المسيحية بعد السيد المسيح

-يجعل رجال المسيحية الباطل كأنه هو الحقيقة،وهو على عكس ذلك،يتناول البسطاء هذه الأكاذيب،على إنها الحقيقة الوحيدة دون غيرها،ويبين كيف يجبرهم المدعون، على النّظر فقط إلى هذا الفكر المسيحي،رافضين أيِّ محاولةٍ للالتفات لغيرها،ومصير الشخص الّذي يهجر هذا الفكر المضلل،هو اللعنات(لقد أنجز أولئك القساوسة أعجوبة عملهم التزويري على نحو جعل جزء هاما من الإنجيل يكون وثيقة عنه.باحتقار لا مثيل له تجاه كل تقليد وكل واقع تاريخي،تأولوا ماضي شعبهم تأويلا دينيا،أي جعلوا منه آلية خلاص سخيفة،قوامها الذنب تجاه يهوه،والعقاب الذي ينتج
عنه،والتقوى تجاه يهوه وما يتبعه من ثواب)[٤٧]

-يقدم رجال المسيحيّة الحقيقة لمعتنقيها على شكل مفاهيم غير قابلة للإنكار،على قاعدة يمكن أن تتخذ معيارا للحقيقة،هي غريزة البقاء الأعمق(التي تمنع على الواقع،كل إمكانية،تجعله يحظى بأي اعتبار،أو حتى بحق التعبير عن نفسه،في أي مجال،وحيثما استقر تأثير اللاهوتيين،يكون الحكم القيمي مقلوبا على رأسه،ويكون مفهوما الحقيقة والخطأ،معكوسين بالضرورة.ما هو أكثر ضررا بالحياة،يسمى هناك حقيقة،وما يرفع من شانها،وينميها،ويستجيب إثباتا إليها،ويبررها ويجعلها تنتصر،يسمى خطأ)[٤٨]

-تقييد الأخلاق العامة في تفسير معين يحدّده القس،فيشرحها كالحقيقة،وهي عصية على المدركات واليقينيات،هذا إذا كان هناك حقّا شيء يدعى أخلاق؛فالأخلاق بحسب الإنجيل كما يدّعي طهاتها،هي تشريع إلهي،يجدر بالإنسان أنْ يطبقه،(القس هو الذي ظل يسود إلى حد الآن !وهو الذي كان يحدد مفهوم الحقيقة والباطل)[٤٩]

إنَّ الخير حسب الأخلاق المسيحيّة،مشروط بإيمان معتقداتها،التي ابتدعها القساوسة،إنَّ الخير هو كل ما يناقض الصّحة والمُتعة وإرادة الحياة، وتقدير الذات واحترامها،وهي كلّ ما يقابل المرض والجمود وانتظار الآخرة،وتقدّيس الشخصيّات وتحقير النّفس،إنّ الإنسان يجب أن يَخلِقَ فضيلته وخيره بنفسه،من دون كل هذا الوهم .والواجب غير الواجب أصلًا؛ لكن المسيحية بالمرصاد دائما،لتطلعاتٍ مثل هذه(ما هي الأخلاق المسيحيَّة،الصُّدفة مجرَّدة من براءتها،الشؤم ملطخٌ بفكرة الخطيئة،الغِبطة كخطر وغواية،التوعك الفيزيولوجي مسممًا بدودة الضمير)[٥٠]

-القس يعلم كل ما يناقض الطبيعة(رذيلة هو كلُّ نوع من مناقضة الطبيعة،والنوع البشريِّ الأكثر رذيلة هو القسُّ،إنَّه يعلم ما يناقض الطّبيعة،ليس هناك من حجة لمواجهة القسّ،هناك السجن)[٥١]

-القس يبتدع الخطيئة لتلويث الإنسان بالمعصية(لقد تم ابتداع الخطيئة،ذلك الشكل الأمثل لتدنيس الإنسان،بهدف جعل العلم والثقافة وكل سمو بالإنسان وكل نباله أمرا مستحيلا،لقد بسط القس سلطان سيادته بواسطة ابتداع الخطيئة)[٥٢]

-فرض القس قناعات وحقائق ونّظام أخلاقيّ إلهيّ عديم القيمة مثل:الإرادة الإلهيّة، الخلاص، القيامة،الغفران والعناية الإلهيّة والخلود،كلُّها اختراعاتٍ ابتدعها الكاهنة ابتداءً من تلاميذ المسيح إلى الرسول بولس ثم ما بعده،ليس عن جهل ولا عن مبعث براءة بل عن كذب مُتَعَمَّد ليتمَّ تكريس سلطتهم الكاملة التي تُحقّق الإرادة العدميّة الّتي تؤكد على حياة ثانية موعودة لن تتحقق على الإطلاق وتسحب المعنى من حياتنا،بل إنَّهم حتى لا يكذبون؛لأنَّ الكذب يشترط معرفة الحقيقة

هؤلاء بعيدون كل البُعد عن الحق والصواب(النّظام الأخلاقي الإلهيّ للحياة.يعني إن هناك إرادة إلهية ثابتة إلى الأبد في ما يتعلق بما ينبغي على الإنسان إن يفعله وما ينبغي ليه أن يتركه،وأن قيمة شعب أو فرد ما تقاس بمدى الطاعة التي يبديها لمشيئة الله،وأن مصير شعب أو فرد ما يتحدد بإرادة الله كسيد ذي سلطان،أي كمثيب أو معاقب بحسب مدى الطاعة،أو العصيان)[٥٣]

-الواقع الذي تحجبه أكذوبة النظام الأخلاقي الإلهي هو(هناك نوع من الطفيليين لا
يستطيع أن ينتعش،إلا على حساب المكونات السليمة للحياة،هو القس،يستغل اسم الله لغايات بعينها.يمنح وضعا يكون القس فيه هو الذي يحدد قيمة الأشياء،اسم ملكوت الله)[٥٤]

القسّ يأمرك بطاعة الله واحترامه،وتنفيذ أوامره ونواهيه؛لأنّه هو الإله نفسه الذي يريد منك تقديسه،يجعل من حياتك كلّها لعبة،قائمة على ثواب وعقاب إلهه،إنَّه يسحب من الإنسان صلاحيات،لتحقيق واقعه وذاته بنفسه.يجعل كل أمر في الحياة،متعلقًا به من أمور الدولة،والعلاقات الاجتماعيّة والقضاء،وحتى مراسم الزواج،لا يمكنك أن تتزوّج إلا بحضوره ومباركته،ليجعل لزواجك قيمة

وشرعية،ومن يرفض الامتثال لكلّ هذه التقييدات،فهو ملعون،وضدّ مشيئة الله(يجرد القس الطبيعة من القيمة،ويسحب عنها قداستها.بهذا الثمن فقط يتسنى له،أن يكون موجودا.سيعطي لعصيان الله الآن،أي عدم الامتثال للقس،ولا لقانون اسم خطيئة،أما وسائل التصالح مع الله فستكون بطبيعة الحال،وسائل تحقق خضوعا أعمق للقس.القس وحده هو الذي يخلص)[٥٥]

-الخطيئة مجرّد شمّاعة يعلّقها القسّ على ظهور الناس لجعلهم خاضعين له،بائسين ومحتاجين له،عكس الممتلئين صحة وعافية،لا يشجع القسّ الإنسان على حيازة العلم، بل يفضّل أن يكون هو المتعلّم فقط ،حتى يسيطر على عقول البسطاء،إنَّه يجعل من الشكّ والرَّيبة والسؤال ذنوبًا،يجب أن ينال صاحبها السخط من الله،لأنَّه تَعَدٍ عليه،و إنَّ القس يحب الحروب حتى تجعل الإنسان بائسًا أكثر،لا يجد وقتًا لطلب المعرفة والتفكير،باستثناء الهلع والفقر،الذي يجرّه على التقرب منه، وطلب مغفرته.

أراد المسيح مصالحة الإنسان مع الله،والقول أنَّه جاء لذلك،وأن كلّ المفاهيم حول الغفران والكفّارة والخطيئة،قد أزيلت عن طريقنا،ليس هناك من شيء،غير تطبيق الأفعال المسيحيّة،التي كان يفعلها المسيح،ويدعو إليها،لكنها ظهرت مجددا بعد موته على أسس مختلفة.لقد منحنا المسيح الوصفة الأصلية،لكننا غيّرنا مكوناتها لوصفة أخرى،وعرضناه لأكبر عملية تشويه (ذلك المُبشّر مات كما عاش،وكما كان

يعلّم،ليس من أجل تخليص الإنسانية،بل من أجل أن يعلّم،كيف ينبغي على المرء أن

يعيش،والممارسة هي تلك التي تركها للناس)[٥٦]

لم يتقبل أتباع المسيح حادثة صلبه،ولم يتورعوا من تلفيق الأكاذيب على لسانه،ولم يستطيعوا الرد على الأسئلة التي طرحت عليهم،حول مصيره المأسوي.لقد أرادوا الانتقام لموته،لكنه انتقام لا تأمر به المسيحيّة. اخترعوا ديانة بأكملها،قائمة على القيامة والخلاص،وعزم بولس على تَحقيق هذا.

لقب نيتشه بولس بالحاخام،الذي اخترع ديانة جديدة،مناقضة للمسيح الأول والحقيقة.كلّ أكاذيبه تستند على صلب المسيح وموته،كفّارة لخطايانا،وأنّه النبيّ المعلم الابن،قاهر الموت،والقائم من الموت.و أن بولس قد أحبك القصة بمنتهى التخطيط والخبث،حتّى أنّ النبيّ محمد "صلى الله عليه وسلم"نفسه،اقتبس مفهوم القيامة ،من كذبة بولس المُفضّلة(ما هو الشيء الوحيد الذي اقتبسه محمد من المسيحية في ما بعد؟انه ابتكار بولس،وسيلة لبسط الاستبداد الكهنوتي ولتكوين القطعان،والإيمان بالخلود،أي نظرية الحساب)[٥٧].

ليس المسيح الأول "الحقيقي" عند نيتشه،مثل المسيح الثاني المُخترَع.المسيح الأول يأخذ عليه نيتشه حبُّه للمساواة،ونبذه الطبقيّة،و سكوته عن الحق،وعدم الدفاع عن نفسه،و ثورته على التمرُّد سلمية،واعتماده على الضعفاء،ومنحهم الأهميّة.

والمسيح الثاني عند نيتشه (المخترع)،هو النسخة الجديدة الأكثر سوء،الذي ليس لديه أيّ إيجابيّة مثل الأول على الأقل(بولس وبتلك الوقاحة الحاخامية التي تميزه في كل شيء،هو الذي أعطى الصياغة المنطقية لهذا المفهوم الفاجر:"إن لم يبعث المسيح فسيكون إيماننا باطلا" وبهذا يكون الإنجيل قد تحول إلى الوعد الأكثر حقارة،من بين الوعود الكاذبة كلها،والمذهب الوقح القائل بالخلود الشخصي.وكان بولس نفسه يكرز لذلك كثواب)[٥٨]

المبحث الثالث

موقف البوذية والمسيحية بعد زعم موت الإله

البوذيّة عند نيتشه هي نقيض المسيحيّة في عدة نقاط.البوذية هي الديانة الأقدر من المسيحية(هذه وجهة نظر بوذية،لا كراهية فيها للخطيئة،بل فكرة الخطيئة غائبة عنها تماما)[٥٩].كل من البوذية والمسيحية نحت الإله جانبا،فما هو موقف البوذية والمسيحية بعد زعم موت الإله

-أسهمت تعاليم في إضعاف الإنسان(قوامها على مخلفات عقدية غير قابلة للتصديق، لعالم من التمثلات القيمية،قديم ومتناقض،تقديمها العزاء عبر آخرة لا وجود لها،ولم يعد أحد يؤمن بها.نفاق المسيحيين الذين لا يعيشون احترامهم لما يتوجب احترامه)[٦٠]

- إنّ البوذيّة رغم أنّها تشترك مع المسيحية في عدّة نقاط حيث(كونهما ديانتين عدميتي،كلاهما ديانتا انحطاط ،لكنهما تختلفان اغرب الاختلاف)[٦١] تشترك البوذية مع المسيحية في الانتقاص من العالم الحيوي ورؤيتها اللذة كمصدر للألم؛إلا أنّ البوذية(أكثر واقعية بمائة مرة من المسيحية)[٦٢] أكثر قدرة على التشبث بالواقع والموضوعيّة من المسيحيّة،أقامت صرحا أخلاقيا ينهض بالإنسان ويرفع قدره عكس المسيحية أضعفت الإنسان وحطت من قدره(البوذية لا تعد بشيء،بل تحقق،أما المسيحية فتعد ولا تحقق شيئا)[٦٣]

فالبوذيّة(لا تقول بمحاربة الخطيئة بل بمحاربة الألم مولية بذلك اعتبارا تاما للواقع لقد أولت ظهرها للخداع الأخلاقي)[٦٤]تعترف بالألم كحقيقة قائمة بذاتها في عالمنا وبهذا فهي لا تهرب من الحقيقة وإنما تمنحك فرص أو حلول لمحاربة الألم وهي تتغيّر حسب رغبة كلّ شخص،كما أنّها متبوعة بنظام صحيّ وحرّ،كالتجوال في العالم والتأمّل والتعقل والاهتمام بالغذاء.. إلخ،غير أنها ليست مقيّدة

أما المسيحية فهي قائمة،على ابتداع عالم ثانٍ غير حقيقي،وحقيقة مزيفة،إنّها تخاف من الحقيقة والواقع كما هو،من دون أي تجميل أو تشويه،فتبتدع مفهوم الخطيئة التي تحلُّ محلَّ الألم،فتؤلمك بطريقة غير مباشرة،بل إنّها تحضُّ على الألم والأمراض،للوصول إلى الله،وتجعل حياتك جحيمًا،فلا حلّ إلا في تبعية القساوسة والتوبة وتنفيذ ما يقولون

-قامت البوذيّة على عدّة فلسفات نتجت منذ قرون،لا يعنيها أمر الإله في شيء،لا تبدد الطاقة في الخوض فيه(عند مجيئها،كانت فكرة الله أمرا،قد تم شطبه من الأذهان)[٦٥]عكس المسيحية وليدة اليهودية التي قلبت كل القيم الصحيحة،حيث شاغلها الشاغل،تكريس الإنسان لتقديس وخدمة الإله فقط.

-إن البوذية لا تحتاج إلى الشّفقة،ولا التدّخل في حياة الآخرين،ومحاولة تصليح

أخطائهم أو الانشغال بمشاكلهم،بل تطلب منك أن تخليص نفسك من الألم،ولا يكون إلا عن طريقك أنت.لا إله ولا روح ولا قدّيس،قادر على مساعدتك،فيها من الأنانيّة الإيجابيّة ما يساعدك،عكس المسيحيّة التي تكترث للمحبة والشفقة والاهتمام بهموم الغير،وطلب الخلاص من القسّ والإله

-إن الخير عند البوذية،هو قيامك بوضع حياة صحية لنفسك،وتخليص نفسك من الألم ،كل حسب الطريقة التي يريدها،لا إجبار ولا إكراه،أما المسيحية فيكمن الخير فيها على عباداتها،التي تلزم بالزهد والبتولية والعطاء منقطع النظير،للانشغال بها.

المبحث الرابع

إعادة اعتبار الإنسان

يترتب على مقولة نيتشه أن الإله قد مات،فُقد الثقة في الإله (المسيحي)،وتشكك بعض المميزين،بشك نقاذ لرؤية هذا المشهد،(أن شمساً قد أفلت،أن ثقة عميقة قديمة قد تحوّلت إلى شك.إن الحدث في حد ذاته كبير جداً،ويتجاوز كثيراً القدرة المفهومية، للعدد الكبير من الناس،لكي نستطيع أن نزعم،بأن الخبر قد وصل منه بعد،بل أقل من ذلك،أن نزعم أن أحداً قد فطن لما وقع فعلاً،كما لم يفطن،لكل ما يجب أن ينهار منذ الآن،بمجرد أن ينهار الاعتقاد،لأنه أُسس وبني عليه)[٦٦]

أراد نيتشه في دعوى موت الإله،إن ينذر بانهيار عالم المثل،المتجاوز للواقع،ويسعى إلى إعادة اعتبار الإنسان،بتغلبه على ذاته.فبعد موت الإله،تعلق القيم الأخلاقية،ويبتدع الإنسان قيما جديدة،ليصل إلى منزلة الإنسان الأعلى(لقد كانت فكرة الإله إلى حد الآن،تمثل الاعتراض الأكبر على الوجود،إننا ننفي الإله،وننفي المسؤولية في الإله.بذلك فقط نخلّص العالم)[٦٧]

انتهت المعاني الإنسانية،بناء على فكرة موت الإله،فهي تعني في ظاهرها،نفي لكل حقيقة عليا،والسعي إلى التعالي،الذي دعت إليه الأديان.فمهد نيتشه الطريق لكي يتجاوز الإنسان كل شيء،ويتمكن من تحقيق كل ما تتسع له جهوده،فمع تنحية تعاليم الدين المسيحي جانبا،يجب تحرر الجسد من التنكر اللاشعوري لحاجاته الطبيعية (تحت أقنعة الموضوعية، التصور الذهني،العقلانية الخالصة،قادر على أن يأخذ أبعاداً مخيفة،وكثيراً ما تساءلت،بعد تقليب طويل،إن لم تكن الفلسفة إلى ذلك الحين عبارة عن تأويل للجسد وسوء فهم له،على الإطلاق.فوراء أحكام القيمة السامية حيث كان تاريخ الفكر مسددا حتى الآن،كانت تستتر خلافات بصدد بنية الجسم،سواء من قبل أشخاص منفردين،أو من قبل طبقات اجتماعية أو أجناس بكاملها)[٦٨]،و أن

(الحل المسيحي باعتبار العالم ذميماً وقبيحاً،قد صيَّر العالم ذميماً وقبيحاً)[٦٩]

يجب أن يراجع كل إنسان نفسه،ليتذوق متعة الحياة،التي كبتتها المسيحية،كانت تعمل على كبت الملذات والشهوات،وتحرم الإنسان من رغباته،بحجة أن هذا ما تدعو إليه الأخلاق،وهو في الحقيقة قضاء على الحياة(كانت الكنيسة تحارب الهوى بطريقة البتر بكل ما للعبارة من معان. أبداً لم تكن تتساءل كيف يمكن أن نعقل،ونهذّب شهوة ونرتقي بها إلى منزلة القداسة؟ وعلى مر العصور كانت تركّز نظامها التأديبي على الاستئصال ممارساً على الحسية وعلى الكبرياء وعلى النزوع إلى السيطرة وعلى رغبة الملكية والانتقام.لكن استئصال الأهواء يعني استئصال الحياة.إن ممارسات الكنيسة معادية للحياة)[٧٠].كل ما تمارسه الكنيسة وتدعيه أخلاقيا،هو بعينه نفي للأخلاق(كل الوسائل التي تم استخدامها إلى حد الآن بهدف جعل الإنسانية أكثر أخلاقية،كانت جميعها لا أخلاقية في أساسها)[٧١]

خالف نيتشه عمل المسيحية على مناهضة الحياة،بالعمل على إعلائها ونمائها،وأن يعايشها الإنسان معايشة حقيقية،يتمتع فيها بكل شيء،بعكس ما كانت تدعو إليه الكنيسة،من كبت الشهوات،وتظهر الإله،وكأنه عدو للحياة(الأخلاق المنافية للطبيعة أو تقريباً كل ما ظل يُلقن ويُحاط بالإكبار.تتجه بالعكس من ذلك إلى مناقضة الغرائز الحياتية بالذات.وعندما تعلن:"إن الإله يرى ما في القلوب" فهي إنما تقول لا لرغبات الحياة، الخفية منها والبادية،وتقر بالإله عدواً للحياة.تبعاً لذلك،فإن الحياة تنتهي حيث يبدأ ملكوت الرب)[٧٢]

المبادئ الدينية التي وضعتها الكنيسة،وتحض على احتقار الجسد،و تضعف وتحط من قيمة متطلباته الجسدية،عند نيتشه هي إرادة القوة عند الضعفاء تتمثل في احتقار الجسد والغريزة،أما إرادة القوة عند الأقوياء،فهي تحطيم الانحطاط،الذي عرفته أوروبا خلال فترة

زمنية طويلة،(لا ينبغي أن نزين وجه المسيحية ونلمع سحنتها.لقد خاضت حربا بلا هوادة،ضد ذلك النوع الراقي من الإنسان،ونبذت كل الغرائز الأساسية لهذا النوع،ومن تلك الغرائز استنبطت خلاصة الشر –والشرير- الإنسان القوي كنموذج للمعيب المنفر "الإنسان الكريه"لقد انحازت المسيحية لكل الضعفاء والفاشلين،وجعلت من الاعتراض على غرائز حفظ البقاء،الكامنة في الحياة القوية،مثالا أعلى لها)[٧٣]

أثرت مبادئ الكنيسة حتى على العقول القوية، لتحقق أهدافها،وهو يمثل الانحطاط المنهجي لتزييف القيم،ومحاربة كل طاقة إنسانية(عندما صورت لهم،أرقى قيم العاقلة البشرية،على أنها خطايا وضلالات،وتلبيس غوايات.والمثال الذي يدعو إلى الرثاء، أكثر من أي آخر،هو ذلك الفساد الذي طرأ على باسكال،الذي كان يعتقد أن مرد فساد عقله هي الخطيئة الأصلية،في حين كانت المسيحية هي التي أدخلت الفساد على عقله)[٧٤]

الانحطاط

أطلق نيتشه على الثقافة الأوربية في القرن التاسع عشر بالمنحطة(أفهم الفساد كما لم يعد يخف عن أحد،بمعنى الانحطاط. إن اعتقادي هو أن كل القيم التي تضع فيها الإنسانية اليوم مجمل أمانيها هي قيم الانحطاط.أقول عن حيوان أو نوع أو شخص بأنه منحط عندما يكون قد افتقد غرائزه،وعندما يختار ويبجل ما هو مضر به)[٧٥]

الانحطاط يعني الخضوع أو التأثير السلبي للكنيسة على الإنسان،لأن الكنيسة المسيحية وضعت بعض القيم التي تقوض الروح الإنسانية،فيخسر الإنسان خسارة عامة(يخسر كما من الطاقة عندما يشعر بالشفقة.وعن طريق الإشفاق،ينمو ويتضاعف تبديد الطاقة،التي يكون الألم قد ضخها داخل الحياة.وحتى الألم نفسه يمكنه أن يغدو معديا بحكم الشفقة،ويمكنه في بعض الأحيان أن يتسبب في حصول خسارة عامة في الحياة،وفي الطاقة الحيوية خسارة مجانية،مقارنة بالحجم الضئيل للسبب الذي يكمن وراءها)[٧٦]

وحسب قيمة ردود الفعل التي تعمل على إثارتها القيم المسيحية التي وضعتها الكنيسة(فإن خطرها المميت سيتجلى على نحو أكثر وضوحا وبيانا.فالشفقة تعيق في المجمل قانون التطور،الذي هو قانون الانتقاء.إذ تحفظ ما قد غدا جاهزا للتدهور،وتقف موقف المناصر لمن حكمت عليهم الحياة،وقضت بحرمانهم ،كما أنها تمنح الحياة نفسها مظهرا كئيبا ومشبوها،من خلال الحشد الهائل من المتشبثين بالحياة،من بين الفاشلين من كل نوع.)[٧٧]

إن الأخلاق المسيحية تشدد على النعمة والرحمة والشفقة،و هذه الفضائل المزعومة تغرس ضعفا داخل الناس،وتجعلهم يعيشون مقلدين غير مبدعين،بعدين عن النمو الأساسي للروح البشرية،وتقضي على الوجود البشري الأصيل ولبقاء الحضارة الغربية وبلوغ الثقافة أعلى مكانة،يجب التخلص من هذا الدين العاطفي،الذي أعمى الناس عن واقع الوجود الإنساني ،تاريخ الأحاسيس الراقية،ومثل الإنسانية (سيكون على،أن أروي هذا التاريخ –بإمكانه أن يمدنا بتوضيح حول السبب الذي جعل الإنسان على هذه الدرجة العالية من الفساد.إن الحياة نفسها تعني بالنسبة لي،غريزة النمو والديمومة وتراكم الطاقات،وغريزة القوة.وحيثما كان هناك افتقار إلى إرادة القوة،يكون هناك تدهور.واعتقادي هو أن كل القيم العليا للإنسانية،مفتقرة إلى هذه الإرادة،وأن قيم التدهور،والقيم العدمية هي التي تمارس سيادتها تحت أكثر الأسماء قداسة)[٧٨]

وآخر ما يمكن أن يعد به نيتشه لإنجازه،هو أن يحسن البشرية بأن يطيح بالمثل القديمة(إني لا أقيم أوثانا جديدة،إنني لا أريد سوى أن تتعلم الأوثان القديمة،ماذا يعني أن تكون أقدامها من صلصال.أن أطيح بالأوثان،هو عين مهمتي.وبقدر ما اخترعنا عالما مثاليا،بقدر ما جردنا الواقع من قيمته ومعناه وحقيقته.فإن أكذوبة المثالي هي لعنة الواقع،وعلى هذا،فإن اشد الغرائز الإنسانية تأسيسا فيه،قد أصبحت كاذبة ومزيفة،ومن ثم،أصبحت القيم التي تتطاحن في عداوة مع القيم،التي تضمن ازدهار الإنسان ومستقبله وحقه،في ذلك المستقبل)[٧٩]

فعلى سبيل المثال ،الشفقة على أرض الممارسة هي من معاني العدمية (إن هذه الغريزة الاكتئابية المكرية والمعدية تتعارض،وتلك التي تتأسس على حفظ الحياة، وإنماء قيمتها.وهي كمضاعف للشقاء وكحافظ لكل بؤس،تمثل أداة أساسية لرفع وتيرة الانحطاط)[٨٠]لا يوجد هدف أو معنى أو مغزى مطلق للوجود البشري،وما نصادفه في الحياة هو التفاهة تفاهة اللامعنى،تفاهة الاختيار البشري،لا يوجد اله إذا لا يوجد معنى مطلق للحياة البشرية (الحياة الواضحة وضوح النهار،الباردة،الواعية،دون غرائز،وفي تعارض مع الغرائز،لم تكن في حد ذاتها سوى حالة مرضية،مرضا آخر،وليست بالمرة عودة إلى الفضيلة،والى العافية والى السعادة.ضرورة مكافحة الغرائز،تلك هي القاعدة التي يتأسس عليه الانحطاط،طالما ظلت الحياة في حركة صعود،فإن السعادة تساوي الغريزة)[٨١]

التأثير السلبي للدين،يحاول سحق الروح الإنسانية.،والتقاليد والأعراف المجتمعية،تعمل ضد الفرد الذي يسلك وفق إيقاعه الخاص وقناعاته.انحطاط الإنسان العصري يظهر في كونه جبانا يفتقر إلى فضيلة الشجاعة،وثقافة ومجتمع أوروبا في القرن التاسع

عشر،يظهر ما اسماه نيتشه "أخلاق القطيع".الناس مستعبدون بإتباعهم الأعراف والتقاليد المجتمعية،يخشون الخروج عن المألوف مثل قطيع غنم يفعلون أي أمر يتوقعه منهم الآخرون

لكن الإنسان المتفوق،لا يخشى أن يمارس رغبته في بلوغ السلطة حتى أعلى المستويات وأعظم أبطال التاريخ بالنسبة إلى نيتشه،هؤلاء الذين اشتهروا بإخضاعهم

الطبيعية لآخرين في العالم،مقابل الرغبة في الوصول إلى السلطة

الفصل الرابع

المظهر الإيجابي للعدمية

حاول نيتشه إعادة بناء الأسس الأخلاقية والفكرية،مراعيا المتطلبات الإنسانية في أوروبا.فنقض كل ما يحرم الإنسان،من أن يمتع بإنسانيته وحريته وقوته،في هذه الحياة،لا مجرد تمتع بشهوات حسية،بل معرفة الإنسان لنفسه،وترويضه الإيجابي لقواه الطبيعة،ليبنى مجتمعا قويا يتميز بصحة البدن والعقل،كل ما فيه أقوياء،يقودون الأحرار و ليس العبيد،إلى حياة تكون جديرة،بأن يحياها الإنسان.

يقاس تقدم الأمم بالرقي الفكري.تتجلى قوة الإنسان في استقلاليته وإبداعه،وتحكمه في النفس وتمسكه بالفضيلة،وقهره المصاعب،وسموه بنفسه،نحو كل ما يجعله سيدا على الأرض.ويرفض نيتشه أن يعيش الإنسان بطريقة سلبية،بلا ضوابط أو قيود،أو بدون أي أحكام أو قيم .ويتبنى الأفق الجديد للفكر،في الغرب المعاصر

المبحث الأول

الواجب على الإنسان بعد موت الإله

يذهب الفكر السلبي الذي يقوم على النفي،ليحل مكانه التفكير الإيجابي.فموت الإله هو ارتقاء إلى مستوى،يكون فيه الإنسان فاعلاً ومبدعاً،يضع القِيم بنفسه،وتصدر كافة القيم الأخلاقية عن شعوره بالقوة،فبموت الإله انهارت مركزية الإله،ويحل مكانها مركزية الإنسان،الإنسان الأعلى فقط.هذا الموت لا يحقق سعادة الإنسان،ولا يحل مشكلاته،لكن يوفر له الظروف المناسبة،للوصول إلى مرتبة الإنسان الأعلى.

فموت فكرة الإله هو أقصى تجلٍ لإرادة القوة،و أحسن تمثيل لها يبدأ من عصر النهضة،فالتنوير الذي ظهرت فيه **نظرية التطور**،التي أحدثت ثورة علمية،أصبح دور الإله فيها غير فعال،يتلاشى وجوده شيئًا فشيئًا.ويكون "الإنسان الأعلى" بديلًا للإله لديه قدرات خارقة تفوق البشر العاديين.

الإنسان المتفوق أو الإنسان الأعلى

تقرر الفلسفة في عدم وجود الإله تسقط كل المعاني،تسقط كل الغايات، تسقط كل القيم الجوهرية في الحياة.وصف نيتشه دعوى موت الإله بحالة انعدام المعاني من الحياة،وفقدان القيم،وحالة فقد الاتزان،بعد اعتقاد الإنسان المسيحي بمعاني ثابتة،دامت أكثر من ألفي عام،ففقدان المعنى وغياب القيم،و حياة العدمية التي يعيشها الإنسان،هي من تبعات فكرة موت الإله.

بعد إعلان موت الإله،يتيح نيتشه الفرصة للإنسان،أن يقيم قيما جديدة(مات الإله!ويظل الإله ميتاً! ونحن من قتلناه!كيف يمكننا أن نعزي أنفسنا،نحن أكبر القتلة؟إن أقدس وأعظم ما امتلكه العالم،قد نزف دمه حتى الموت بطعنات مُدانا:من سيمسح هذه الدماء عن أيدينا؟ أي ماء سيطهرنا؟ أية مراسم تكفيرية،أية ألعابٍ مقدسةٍ يجب علينا أن نبتكر؟أليس عِظَم هذه الفعلة شيئًا يفوق طاقتنا؟ ألا يجب علينا أن نصير نحن أنفسنا آلهة،لمجرد أن نبدو جديرين بهذه الفعلة؟)[٨٢]

يجب علينا أن نصبح ألهه لكي نبدو جديرين بهذا العمل،أي التخلص من العدمية في ظل موت الإله.بموت الإله تفقد الأسس الأخلاقية ومنظومة القيم ثباتها،أصبح الصحيح والخطأ قابل للنقاش،تعم الفوضى بلا ضوابط،تتراجع الحياة الإنسانية إلى الوراء،لذلك اقترح نيتشه فكرة الإنسان الخارق،الإنسان القادر على خلق قيمه الخاصة،ويفرضها على الحياة.الإنسان الخارق القادر على أن يتخطى منظومة القيم المسيحية،مثل التضحية وبذل الذات.يخلق قيمه الخاصة ويفرضها على حياته وعلى العالم،ويكون مدركا أن هذه القيم أتت من ذاته،لم تفرض عليه من مصدر خارجي،فينتصر الإنسان الخارق على العشوائية والعبثية الموجودة في الحياة،ويفرض على الحياة القيم والمعنى الذي يريده في عالم خالي من أي قصد يسبقه،في عالم لا يحكمه كائن حكيم وعاقل،ويجب على الإنسان الخارق أن يعطي للأشياء قيمها ومعانيها ويفرض ما يريده على الواقع.

يتخلص الإنسان الأعلى من الأفكار الدينية القديمة،ويصير هو مصدرالأخلاق، التي تختلف عن قيم الإنسان العادي،التي يطلق عليها نيتشه أخلاق العبيد(إن الإله قد مات؛والآن نريد أن يحيا الإنسان الأعلى)[٨٣] بعد موت الإله يولد الإنسان الأعلى الذي يتجاوز ذاته،ففكرة الإله تمثل الحد النهائي الذي لا تستطيع قدرة الإنسان أن تتعداه،فهي عقبة ينبغي إزالتها،(أي نوع إنساني يجب أن نُربّي،وينبغي أن نريد،كنموذج للإنسان الأرفع قيمة،والأجدر بالحياة،والأضمن للمستقبل)[٨٤]لأن بعد موت الإله سوف يسلك الإنسان

طريق الهاوية طريق الغياب التام عن الأخلاق،فلا بد أن يتجاوز الإنسان كل شيء للوصول إلى الإنسان الأعلى،بخلق قيمه الخاصة،وخلق معنى للحياة (دعوني إذاً من كل الإلهة،لكنه بإمكانكم فعلاً أن تبدعوا الإنسان الأعلى)[٨٥]

وعلى الإنسان من أن يسلك طريق الصعاب،ويعاني و يكون خيّرا وشريرا،ليتمكن من العبور إلى حياة الإنسان الأعلى،ليحل مكان الإله،(ينبغي أن تزداد حالكم سوءاً وشدة،وهكذا فقط ينمو الإنسان ويرتقي إلى الأعالي التي تلاقيه فيه الصاعقة وتفتته،عالياً بما فيه الكفاية)[٨٦].من يمتلك أخلاق السادة هو وحده القادر على قلب القيم،يمارس فاعليته على أكمل وجه ممكن.لا يقف أمامه شيء في وُسعه أن يبذله ،لإضافة من المعاني ما يشاء،بعد إهدار كل القيم الباطلة التي اتخذها الناس في قياسهم للخير والشر.الإنسان الذي يمتلك العقل الحر محارب،و تقاس الحرية(بمدى المقاومة وضرورة التغلب على الذات،وبمدى الجهد الذي يتطلبه البقاء في مرتبة المتفوق)[٨٧]

مفهوم المحارب هو الإنسان الذي يوَظّف كل قواه وطاقاته الإيجابية،من أجل التطور والتجاوز(الحرب هي التي تربي على الحرية. إذ ماذا تعني الحرية؟ إنها تعني أن يكون للمرء إرادة المسؤولية عن النفس.أن يظل المرء محافظاً على المسافة التي تفصل بيننا.أن يغدو المرء لا مبالياً تجاه الجهد والقسوة والحرمان،بل وتجاه الحياة أيضاً)[٨٨]التغلب على الذات،يتطلب من الإنسان إرادة القوة (حيثما وجدت كائناً حياً،كانت هناك أيضاً إرادة قوة؛وحتى في إرادة الخادم وجدت إرادة أن يكون سيداً)[٨٩]

إرادة القوة تعنى أننا أمام كل قيمة،وكل خاصية علينا(أن نبرهن أن الرغبة في الثبات،في الكينونة،هي أصل الفعل المبدع،وإن كان أصله الرغبة في الهدم،في التغيير،في المستقبل،في الصيرورة،(فإنهما سيبدوان قابلين لتفسير مزدوج.. فالرغبة في الهدم،في التغيير،في الصيرورة،قد تكون تعبيراً عن قوة المستقبل الضخمة الوافرة (ديونيزوسية).غير أن هذه الرغبة يمكن أن تكون حقد هذا الذي هو ناقص،محروم، سيء الحظ، الذي يهدم،الذي عليه أن يهدم لأن الوضع الموجود،بل كل وجود،كل أشكال الكينونة تصدمه وتسخطه،فما علينا،لكي نفهم هذه الشهوة،إلا أن نتأمل فوضويتنا)[٩٠]فالحياة هي إرادة قوة،تبحث عن كل ما يقاومها ويستلزم الألم،فإرادة القوة والألم لا ينفصلان،كلما اشتد الألم ازدادت قيمة الحياة (الألم أمر ضروري للمبدع.أن يتألم المرء يعني أن يتحول،وفي كل ولادة هناك موت.لا ينبغي على المرء أن يكون الوليد فقط،بل الوالدة أيضاً: مثله مثل المبدع)[٩١]

كي يجني الإنسان أعظم الثمار من الوجود يجعل حياته في خطر،عش في خطر.فاللذة لا تنشأ عن إشباع الرغبة إنما عن استمرار الإرادة وانتصارها.(إن الأشياء جميعاً في عود أبدي ونحن معها،وإننا كنا لمرات عديدة هنا،وكل الأشياء معنا.هناك سنة عظمى للصيرورة،سنة فظيعة العظمة؛ شيء لا بد له،كما الساعة الرملية،أن يظل على الدوام ينقلب وينقلب مجدداً كيما يستطيع أن يمضي في سيره من جديد وينقضي)[٩٢].في نظرية العود الابدي عند نيتشه،يتكرر الكون وكل الوجود يتكرر،ويتواصل التكرار،بشكل مماثل بعدد لا نهائي من المرات،عبر زمان أو مكان لا نهائي.كل الأحداث التي صارت في حياة الإنسان ستعود،ويعيشها مرة أخري، تموت وترجع من جديد

المبحث الثاني

فكرة العود الأبدي

تفترض فكرة العود الأبدي أن الكون والإنسان وكل الأشياء سيعاد خلقها من جديد بعد موتها وفنائها وهذه الدورة الحياتية ستعقبها دورات مشابهة لها،فكل دورة حياة تشبه التي سبقتها ،وكأنها نسخة منها،فالإنسان وكل الموجودات ستظهر على ساحة الحياة كما كانت في السابق

بمرور فترة زمنية كافية،ستتكرر جميع الظروف والشروط التي أنتجت الفرد وحياته وسياقاته،لتتكرر جميعها ثانية،بكل حدث وواقعة وقرار،ليس مرة أو مرتين، بل تكرارًا أبديًا،ويقدم نيتشه مفهوم الإنسان الأعلى نافذ الإرادة صاحب القوة الفاعلة الذي يتفوق على الإنسان العادي بقدر تفوق الأخير على القردة - هدفًا جديدًا تسعى إليه البشرية.(أما القلة من البشر المتفوقين فهم أقوياء بما يكفي ليتحملوا النتائج المرة المترتبة على حريتهم وعلى توجههم نحو ما هو قاس وحيوي .أن اختبارهم الأخير يكمن في تحملهم لفكرة العود الأبدي)[٩٣]

تأثرت فلسفة نيتشه بالتحولات الكبرى التي حدثت في عصره،وكان هدفها خدمة الحياة وتنظيمها، لتُعين الإنسان على التقدم،بوضع أفكار حلت مكان الواقع المباشر،فنصوص نيتشه تحمل الكثير من التأويلات،تظهر من خلال نقمته على الإله وعلى القيم الأخلاقية تارة،و تارة أخرى باحثاً عن الإله وداعياً للأخلاق.فذكر:(زُوِّرَت فكرة الإله،وزُوِّرَت فكرة الأخلاق)[٩٤]

يصرّح نيتشه أن موت الإله يمثل كارثة وانهيارا في وعي الإنسان الذي تَعَوَّدَ على وجود الإله،وفي الوقت نفسه اعتبر ذلك الحدث طريقا للعبور إلى الإنسان الأعلى.بتكثيف الحياة،بإرادة قوية،لا يحدّها شيء،تقصد ذاتها،و تشبع ذاتها باستمرار بالرغبة في الحياة(أظل أعود إلى هذه الحياة نفسها وذاتها بما فيها من عظيم ومن حقير،كي أعلّم العود الأبدي للأشياء كلها من جديد،كي أنطق بكلمة ظهيرة الأرض والإنسان الكبرى،وأن أبشّر الإنسان بالإنسان الأعلى)[٩٥](هل تريد هذا مرة أخرى ومرات لا حصر لها؟سيهبط ثقله على

تصرفاتك بأثقل وزن! أو كم سيلزمك من إظهار الإحسان تجاه نفسك وتجاه الحياة حتى لا ترغب في شيء غير هذه الأخيرة التي هي إثبات أبدي،هذه الأخيرة التي هي عقاب أبدي؟)[٩٦] الإنسان الأعلى عليه أن يُعيد للحياة اعتبارها بعد موت الإله،و أن يُؤمن بالصيرورة وأن يَعود لقيم الأرض،وهي قيم الصيرورة والتحولات الدائمة التي لا تتوقف،وقيم العود الأبدي،و الذي يُثبت العود الأبدي؛هو المتخلّص من روح الانتقام،ويتقبل الزمن بأحزانه وأفراحه،(يتحمل الخسائر والآمال والغزوات وانتصارات الإنسانية)[٩٧]

في فكرة العود الأبدي لذات النفس عليها أن تحيى هذه الحياة(مرة أخرى ومرات أخرى.إن ساعة الوجود الرملية الأبدية لا تنقطع عن التقلب من جديد- وأنت معها –يا حبة الغبار في الغبار.العود الأبدي هو يقين حدسي لم ينقطع عن التأثير في نيتشه،فيما بعد عبر حجج منطقية وأخرى مستقاة من التاريخ الطبيعي،البرهنة على وجوده.أما المعنى اللازم له فيقوم على التبرير النهائي للإنسان الأسمى)[٩٨]

يعني العَود الأبدي أن كل ما مر بك من المسرات والآلام والأحداث في حياتك،وكل ما اتخذته من قرارات وما طرحه عقلك من أفكار سيعود من جديد بنفس التفاصيل ويتكرر مرة بعد أخرى في سلسلة زمنية لا تنتهي أما الإنسان الأخلاقي وراءه قِوَى انتكاسية متراجعة،تبدأ من سقراط مروراً بالمسيحية حجبت الإنسان عن قيمة الحياة؛وقيَّدت إرادته باسم الأخلاق،أطلق عليها العدْمية(عندما يكون المرء مضطرا لان يجعل من العقل طاغية،كما فعل ذلك سقراط،فإن الخطر لن يكون هينا أن يتحول شيء آخر أيضا إلى طاغية .لقد تم اعتبار المنحى العقلي آنذاك منقذا،ولم يكن لا لسقراط ولا لمرضاه خيار في أن يكونوا عقليين،كان ذلك أمرا محتما،وكان ذلك وسيلة علاجهم الأخيرة.أن التعصب الذي رافق ارتماء التفكير اليوناني برمته في المنحى العقلي يفشي حالة أسى.الوضع على غاية من الخطر،وليس هناك من خيار
سوى،إما الهلاك،أو أن يكون المرء عاقلا،حد العبثية)[٩٩]لأنها أخلاق وقيم العدْم.

فيجب أن نُعيد للحياة قيمها؛بأن نعود لقيم الأرض،ونُؤمن بقيم الصيرورة والتحولات التي لا تتوقف،(إن العقل هو السبب الذي يجعلنا نزيف شهادة الحواس.وطالما ظلت الحواس تظهر الصيرورة والاضمحلال والتبدل،فإنها لا تكذب)[١٠٠]وقيم العود الأبدي،الذي دعا فيها إلى التَّحرر من المثال الخارج عن الحياة،وَأَخَذ يبحث عن القوى الفاعلة.ورَدَّ المعايير الأخلاقية إلى أوهام تريد أن تلغي الحياة،اخترع البشر المُثُل العليا لإنكار الواقع والحطّ من قيمته،فهي مُثُل وهمية لأنها تستلزم أن المعنى خارج عن الحياة،لذلك سميت فلسفته بفلسفة المطرقة.

العَود الأبدي هو اختبار أخلاقي،في إمكانية عيش حياة جديدة بكل تفاصلها،فيحاول الإنسان أن يعيش حياة أفضل،ليعود الكون بعد فنائه،في دورة مشابهة،تعود وتتكرر بصورة غير نهائية.الصور والأشكال ترجع وتعود بشكل الصورة القديمة،فالزمان مفتوح،نظل في دائرة مغلقة تدور في نفس الأحداث،يشعر بالملل لنفس الحزن والملل،فإعلان نيتشه موت الإله يعني غلبة العدمية على الروح البشرية،وأراد بالعود الأبدي،حركة مضادة لهذه العدمية.العود الأبدي،تكرار لانهائي ودوري لكل الأشياء والمواقف في كون متناه.ينطلق من قوة الإرادة،مبينا أنّ قيم الإنسان وأخلاقه هي من صنع إرادته، وليست من صنع أي سلطة

بهذا التكرار يشعر الإنسان بالعبثية،يشعر بأن مجهوده لإدراك معنى الكون دائماً ما ينتهي بالفشل،ولابد أن يعيد المحاولة لإدراك المعنى المراد.يشعر الإنسان بعبثية إيجابية،عندما يؤمن بنسخة أخري من حياته،يحاول فيها أن يغير حياته إلى الأفضل. تكرر إلى العديد والعديد من المرات،يحاول صنع قدره،والحياة الجميلة التي صنعها، سوف تعود وتكرر،الآلام التي عاشها،وكل القرارات التي اتخذها أو التي فكر فيها، ستعود من جديد بنفس تفاصيلها،ستتكرر مرة بعد أخرى في سلسلة زمنية لا تنتهي

في فكرة العود الأبدي عزاء ومواساة وأمل للناس الذين فقدت إيمانها بالآخرة والثواب والعقاب أنكم لن تذهبوا إلى العدم الأبدي،سوف ترجعون إلى نفس هذه الحياة.يقدم نيتشه فكرة العود الأبدي كتجربة فكرية و بديل نظري قادر على مساعدة الإنسان للقيام بوظيفة الحياة،وانتشاله من عيش الحياة بلا معنى،فهي اختبار لعلاقة الإنسان بحياته،كيف يحيا وبماذا يحيا،يعطي نيتشه للإنسان حافزا يخلق منه وبه حياة تستحق أن تعاش.

فمن لم يستطع أن يغير الماضي،فباستطاعته أن يغير الحالي،أن يعمل معنى للحياة فيما تبقى من عمره،لكي يستحق أن يعيش هذه الحياة،لأن يعيشها في حسرة وندم وشقاء ابدي. كل ما يقدم عليه الإنسان سيكون رهين اختياره،يتمرد فيه الإنسان على قدره بقوة إرادة خارج عن القطيع .طرح نيتشه فكرة العود الأبدي لكي يكون الإنسان عنصرا فعالا في الدولة الأبدية فيقدم على المخاطرة والمغامرة مادامت الحياة ستعاد فلابد من صنع مصيره بيده بدلا من الانتظار

المبحث الثالث

خرافة موت الإله

يرفض اللسان نطق اللفظ،و يأبى العقل تصور المعنى،فلا يخطر على القلب،ولا يرد على البال،فمن المستحيل الذاتي موت الإله،ووجود الله هو شرط تحقق المنطق وإدراك العقل{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}[سورة البقرة :آية ٢٥٥]

الله سبحانه وتعالى(لو جاز عليه العدم لاستحال عليه القدم)[١٠١]فالله قديم لا أول لوجوده،وباقي لا آخر لوجوده،فليس لوجوده افتتاح ولا لبقائه اختتام،فهو الإله الحق،الذي يتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتألّه له تعالى،لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه،الله سبحانه وتعالى هو:{الحي القيوم}(هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما،فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات،كالسمع والبصر والعلم والقدرة،ونحو ذلك

والقيوم:هو الذي قام بنفسه وقام بغيره،وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء،وسائر أنواع التدبير،كل ذلك داخل في قيومية الباري)[١٠٢]" الحي": الذي له الحياة الدائمة،والبقاء الذي لا أول له بحد،ولا آخر له بأمد، [١٠٣]

كل شيء ما سوى الله تعالى لحياته بداية ونهاية،والحيُّ سُبْحَانَهُ هُوَ دائمُ الوجودِ ،الباقي حيًّا بذاته عَلى الدوام أزلًا وأبدًا،لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ،هو الحي القيوم(قال بعض المحققين:إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب،وإذا سئل به أعطى،ومن تمام حياته وقيوميته أن{لا تأخذه سنة ولا نوم}والسنة النعاس)[١٠٤].

ينفرد الله سبحانه بكمال الحياة ودوامها لا فناء فيها ولا انقطاع،لا يموت أبدا ولا ينام.حياةِ الله مِنْ الصفاتِ الذاتيةِ،هي أكملُ حياةٍ وأتمُّها،مُنزهةٌ عن مشابهةِ حياةِ الخَلق(فذات الواجب مخالف لسائر الذوات،لئلا يلزم وجوب الممكن أو إمكان الواجب)[١٠٥]،فلا يصيب ذاته تعالى الموتُ أو الفناءُ،ولا تأخذ الله سبحانه سِنَةٌ ولا نومُ لأنهما ينافيان الكمال،ومبدع هذا العالم(لا يكون إلا غنيا مطلقا،موصوفا بصفات الكمال منزها عن الزوال)[١٠٦](وأن كونه أزليا أبديا غني عن البيان....لأن من ضرورة الوجوب امتناع العدم السابق واللاحق)[١٠٧]

كيف يعلن نيتشه هذه الدعوى؟!،وكيف تجرأ ؟!وهو العالم والفيلسوف،فهي دعوى ضد الدين و العلم والحقيق.لعله أراد أن يحدث صدمة للغرب ببشاعة العبارة،ويعلن أن الدين الذي لا تطبق تعاليمه يعني موت صاحبه

حتى لو كان هذا مقصده،فهو ليس معافى من الذنب،لأن الدين يعلن ويقرر،أن الله هو الباقي،فهو الأول قبل والوجود،والباقي بعد الوجود.وليس مبرأ من الكذب،لأن الفلسفة تعلن أن واجب الوجود،موجود دائما وأبدا.أضف إلى ذلك أن الدين لم يسمح لنا أن ننسب لله مالا ينسبه لنفسه،أو يتسامح في إضافة الصفات له ،أو سلب الصفات عنه

ما حدث في عصر التنوير،شكك الناس في وجود الله،وأن صلب المسيح أحد الأقانيم الثلاثة،هو أصل من أصول العقيدة المسيحية يعترف به جميع علماء اللاهوت المسيحي،فقد اعترفوا بموت الإله،الذي كان موجودًا في مرحلة ما،لم يعد موجودًا(أضحية الكفارة،وفي شكلها الأكثر بشاعة والأكثر وحشية،التضحية بالبرئ من أجل خطايا الخاطئين!آية وثنية مفزعة هذه!)[١٠٨]

والقول بإلحاد نيتشه فيه نظر،فلم يوجه إلا عبارات التبجيل والتقدير والعرفان بالقيمة،لكل ما أتى به السيد المسيح عليه السلام من تعليمات،وأقر بأن ما جاء به السيد المسيح هو رسالة البشرى بين الله والإنسان(كان يسوع قد ألغى فكرة "الذنب" ذاتها.وقد نفى وجود الهوة الفاصلة بين الله والإنسان،وعاش وحده "الله كإنسان"ك "رسالة البشرى"الخاصة به.وليس كامتياز)[١٠٩] لم يرفض مبدأ الدين،أو ينكر وجود الله، و الدين هو أفضل قائد للعامة من الناس نقيض المسيح عليه السلام عند نيتشه،هو بولس،وجه له كل عبارات اللوم والنقض، وأطلق عليه عبقري الحقد،المزور الذي ادعى أكذوبة عودة المسيح بعد الموت،وصاغها في صورة منطقية،فقد كان يبحث عن خلود شخصي لنفسه،حتى ولو كان على حساب الدين(بولس وبتلك الوقاحة الحاخامية التي تميزه في كل شيء،هو الذي أعطى الصياغة المنطقية لهذا المفهوم الفاجر:"إن لم يبعث المسيح فسيكون إيماننا باطلا" وبهذا يكون الإنجيل قد تحول إلي الوعد الأكثر حقارة،من بين الوعود الكاذبة كلها،والمذهب الوقح القائل بالخلود الشخصي.وكان بولس نفسه يكرز لذلك كثواب)[١١٠]

فرق نيتشه بين المسيحية مع المسيح وبعده،فرسالة المسيح هي رسالة البشرى رسالة الحب والسلام بين الله والإنسان،ورسالة نقيض المسيح"بولس" هي رسالة الشؤم المؤسسة على الكذب،لتخدم أغراض المزور بولس،الذي استفاد من صلب المسيح أكثر من حياته(في بولس تجسد النموذج النقيض لرسول البشرى،عبقرية الحقد وعبقرية رؤية الحقد،والمنطق القاطع للحقد.!وأولها المخلص.لقد سمره على صليبه.الحياة والمثال،والتعاليم،والموت والمغزى والحق المتضمن في الإنجيل بأكمله،ما من شيء ظل قائما عدا الفكرة المتأسسة على الحقد لذلك المزور،عدا ما يمكن أن يخدم أغراضه،لا الواقعي،ولا الحقيقة التاريخية)[١١١](لقد حول بولس مركز ثقل الوجود إلى ما وراء الوجود في أكذوبة المسيح "المنبعث من الموت "وفي الحقيقة لم يكن ليجد له من فائدة في حياة المخلص،كان بحاجة إلى الموت على الصليب)[١١٢]

وفكرة الإنسان الخارق هي فكرة في نفسها نبيلة،إذا كان مرادها أن المميزين من أصحاب العقول المتوهجة بالعلم والذكاء(الأوبر مينش)يحتاجهم العامة لنقلهم إلى الإبداع والسعادة،فهم القادة للعامة،خاصة إذا كان ذلك مع تطبيق مبادئ الدين

أما إذا أراد نيتشه بالإنسان القوى الذي يصنع لنفسه اسما وأهمية لحياته ووجوده بعيدا عن الله،ويفرض قيمه والمعاني التي يريدها على الواقع،ليس هو الحل،لأنه سيعود بالإنسان إلى الفوضى،التي حذر منها نيتشه،فوضى الأفكار والمعاني،والى من تكون المرجعية،فيكون الإنسان مرجعية ذاته،يصير البشر في صراع مستمر،فيمن يكون الإنسان الخارق،من بين كل من أرادوا،أن يكونوا جميعا خارقين، ويفرض المعنى الذي يريده.أضف إلى ذلك أن أساس الفرض باطل،وهو عدم وجود الإله،الذي وجوده هو شرط المنطق،وشرط إدراك العقل،وما فوق العقل هو الخوارق والمعجزات التي مبدأها هو وجود الله،فتدور الحقيقة والمعاني إلى،واجب وجود الله،لذلك فهو واجب الوجود،مانح القوة لكل قيمة ومعنى

خاتمة:

-العدمية هي ادعاء أن جميع القيم لا أساس لها،ولا يمكن معرفة أي شيء أو الاتصال به. ارتبطت العدمية بـ (فريدريك نيتشه) ومفهومها انهيار المعنى والهدف من الحياة وهو أقوى ما يدمر الإنسان،فالعدمية تدمر المعتقدات الأخلاقية والدينية،فتعجّل بحدوث الأزمات و الفوضى بين جميع الناس

-رفض نيتشه أفكار قساوسة الكنيسة التي تنادي باحتقار الجسد،لأنها تعبر عن الضعف والانحطاط،فإرادة القوة عند الضعفاء تتمثل في احتقار الجسد والغريزة، وإرادة القوة هي سلاح،لتحطيم الانحطاط الذي عرفته أوروبا خلال فترة زمنية طويلة،والحقيقة نسبية لأنها تعتمد على ما تره إرادة القوة محققا لأهداف.

-تعني العدمية أن المبادئ الإنسانية المطروحة من القساوسة لا قيمة لها،وأن الحياة لا معنى لها،و المعرفة صعبة التحصيل،بسبب ابتعاد الإنسان عن الالتزام بمبادئ المسيحية،فطرح نيتشه دعوى موت الإله،وهو يشعر بالقلق عند الناس،من فقد المسيحية تأثيرها على الأوروبيين،الذي من تداعياته،تنحية المسيحية من الحياة العامة.ويشير نيتشه إلى أن سقوط الإنسان في هاوية العدمية،بسبب ضعف الإيمان وفقدان القيم،في عصر طغى فيه العلم والماديات،حله الإنسان الخارق يبدع قيما بديله يعدها بنفسه،تستطيع أن تحافظ على الإنسان

-يتبنى نيتشه فكرة الإنسان الأعلى،الذي يتطهر من كل قيم الدين المحرفة ،ومن وهم الخوف الدائم من العقاب سواء في الدنيا أو الآخرة،فليس لطموحه حد،دائم التطور،فلا يوجد من هو أعلى أو أقوى منه،فلديه قوة خارقة مستقلة تبدع،وتقهر الظروف وتتخطي الصعاب

-لم يرفض مبدأ الدين أو ينكر وجود الله.يرى أن الدين أفضل موجه للعامة من الناس،فهو يرشدهم وينظم حياتهم.يرى في بعض القيم التي فرضتها الكنيسة غير واقعية،تغرس وهم الأمل،مثل الشفقة والرحمة والعطف،هي صفات سلبية،تثبط الطموح وتضعف الإنسان

-الإنسان العادي عند نيتشه هو الذي يحتاج إلى الدين،لكن المميزين أصحاب العقول المتقدة (الاوبر مينش)عقلهم يرشده وينهض بهم،هم القادة لعامة الناس،عندما لا تطبق تعاليم الدين،يضعون للمجتمع قيمه الأخلاقية

-يعني موت الإله عند نيتشه إن تهمش تعاليم الدين المسيحي،ولا تطبق قيم الأخلاق وعندما ينحى الدين من الحياة،يسقط الإنسان في حياة الفوضى،وتضيع المجتمعات.فإذا رفض الإنسان تعاليم الدين،فلا معنى للحياة،لا يميز بين القيم العليا والانحطاط الخلقي،ويستمر الانحلال الخلقي،ومن لم ينفذ أوامر الله،و يطبق مبادئ الأخلاق،فمصير الإنسان السقوط في العدمية،فلا معنى ولا غرض من الحياة،وهذا يثبت تقدير نيتشه لقيمة الدين.

-الدين الإلهي دائما قائد،دائما حاكم،إذا حدثت الفوضى في غياب مبادئ الدين في زمن ما،لن تقضي على الأخلاق والمثل العليا،فإتباع الدين كاف لمنع البشرية من السقوط في هاوية اللامعنى للحياة

.....

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ}

Nihilism- Nietzsche

By Aida Abdelhamed Abdelraman Elfeky

Philosophy and religion acknowledged the eternal existence of Allah.

When Nietzsche introduced the idea of God's death though it's against philosophy and religion he wanted to shock everyone with the fact that if you distanced yourself away from Allah that means you've killed him. Nietzsche proposed the idea of a supreme human being "Superman" to protect a man from getting astray in nonsense world as an alternation so far as there's no God. This superman will create life's meanings based on the concept that existence comes first. Meanings of life which actualize his being take place later on. Allah gives us meanings and facts, Human beings should believe in the idea which they were born with instinctively that Allah is able to do all things, and finally Nietzsche believed it.

الهوامش

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة:جوناثان ري،و ج.او.ارمسون،ترجمة فؤاد كامل،ص ٣٧٥،الهيئة المصرية للكتاب ٢٠١٢

(٢) المصدر نفسه:ص٣٧٥

(٣) المصدر نفسه:ص٣٧٥

(٤)أطلس الفلسفة:بيتر كونزمان،بيتربوركارد،ترجمة:جورج كتورة، ص١١،ط١،المكتبة الشرقية ١٩٩١

(٥)نقيض المسيح:فريدرك نيتشه،ترجمة علي المصباح،ص٣٨،ط ١،منشورات الجمل، لبنان

(٦) المصدر نفسه:ص٤٣

(٧) ديوان نيتشه:فريدريك نيتشه،ترجمة محمد بن صالح،ص١٠، ط٢،منشورات الجمل، لبنان٢٠٠٩

(٨) هكذا تكلم زرادشت:نيتشه،ترجمة علي المصباح،ص٥٣٠،ط١،منشورات الجمل ألمانيا ٢٠٠٧

(٩)نقيض المسيح:فريدريك نيتشه،ص٢٨

(١٠) إرادة القوة :فريدريك نيتشه،ترجمة،محمد الناجي ص ١١،إفريقيا الشرق،المغرب ٢٠١١

(١١)المصدر نفسه : ص١٢

(١٢)المصدر نفسه : ص ١٢

(١٣)المصدر نفسه : ص١٢

(١٤)المصدر نفسه :ص١٢

(١٥)إرادة القوة:نيتشه،ص ١٦

(١٦)المصدر نقسه : ص١٦

(١٧)المصدر نفسه : ص ١٧

(١٨) المصدر نفسه :ص ١٧

(١٩)المصدر نفسه :ص ١٧

(٢٠)أطلس الفلسفة :ص١٧٩

(٢١) المعجم الفلسفي: جميل صليبا،٦٦/٢،دار الكتاب اللبناني

(٢٢) المصدر نفسه: ٦٦/٢

(٢٣) المصدر نقسه:٦٦/٢

(٢٤) غسق الأوثان: فريدرك نيتشه،ترجمة على مصباح،ص٥٧،ط١، منشورات الجمل، لبنان ٢٠١٠

(٢٥) غسق الأوثان: فريدرك نيتشه،ص١٠٣

(٢٦) المصدر نفسه:ص١٠٣

(٢٧) غسق الأوثان : ص٥١

(٢٨) المصدر نفسه : ص٥١

(٢٩) نقيض المسيح :ص ٣١

(٣٠)المصدر نفسه: ص٣٢

(٣١)العلم المرح: فريدرك نيتشه،ترجمة حسان برقيبه، ص ١٤ ،ط١،افريقيا الشرق

(٣٢)أصل الأخلاق وفصلها:نيتشه،ترجمة حسن قبيسي،ص ١٤

(٣٣)أصل الأخلاق:ص ١٤

(٣٤)إنساني مفرط في إنسانيته:نيتشه،ترجمة على مصباح،٧٩/١،منشورات الجمل،بيروت

(٣٥)غسق الأوثان: فريدرك نيتشه،ص ١٥٦

(٣٦) المصدر نفسه : ص ٧٣

([٣٧]) المصدر نفسه: ص٥٢
([٣٨]) غسق الأوثان :نيتشه،ص ٧٥
([٣٩]) المصدر نفسه :ص٧٥
([٤٠]) نقيض المسيح :نيتشه، ص٥٠
([٤١]) هكذا تكلم زرادشت:نيتشه،ص١٠٣
([٤٢]) نقيض المسيح: نيتشه،ص٩٥
([٤٣])المرجع نفسه:ص٩٩
([٤٤]) العلم المرح: نيتشه،ص٢٢٤
([٤٥])المرجع نفسه: ص١٣٧
([٤٦]) هكذا تكلم زرادشت: نيتشه،ص٤٨٦
([٤٧]) نقيض المسيح :نيتشه،ص٦٤
([٤٨])المصدر نفسه : ص٣٦
([٤٩])المصدر نفسه :ص٤١
([٥٠])المصدر نفسه: ص٦٣
([٥١])المصدر نفسه: ص ١٥٠
([٥٢])نقيض المسيح:نيتشه،ص ١١١
([٥٣])المصدر نفسه: ص٦٤
([٥٤]) المصدر نفسه:ص٦٤
([٥٥])نقيض المسيح : نيتشه،ص٦٦
([٥٦])المصدر نفسه:ص٨٣
([٥٧])نقيض المسيح:نيتشه،ص٩٦
([٥٨]) المصدر نفسه: ص٩٣
([٥٩]) إرادة القوة: نيتشه،ص١٦٥
([٦٠]) أطلس الفلسفة : ص١٧٧
([٦١])نقيض المسيح: ص٥١
([٦٢]) المصدر نفسه: ص٥١
([٦٣]) المصدر نفسه:ص٩٣
([٦٤])المصدر نفسه : ص٥١
([٦٥]) المصدر نفسه: ص٥١
([٦٦]) العلم المرح: فريدرك نيتشه،ص٢٠٤
([٦٧]) غسق الأوثان:ص ٧٤
([٦٨]) العلم المرح :نيتشه،ص ٤٥
([٦٩])المصدر نفسه : ص١٣٥
([٧٠]) غسق الأوثان:نيتشه،ص ٥٢
([٧١]) المصدر نفسه: ص ٨٣
([٧٢])المصدر نفسه : ص ٥٧
([٧٣])نقيض المسيح : ص ٢٨
([٧٤]) المصدر نفسه: ص ٢٨
([٧٥])المصدر نفسه : ص٢٩
([٧٦])المصدر نفسه : ص٣٠
([٧٧]) نقيض المسيح :ص ٣١
([٧٨])المصدر نفسه :ص٢٩
([٧٩]) هذا الإنسان: نيتشه،ترجمة مجاهد عبد المنعم ،ص٩،ط١،هلا للنشر ٢٠١١
([٨٠]) نقيض المسيح: ص٣١
([٨١])غسق الأوثان:ص ٣٣
([٨٢]) العلم المرح:فريدرك نيتشه،ص ١٣٢
([٨٣]) هكذا تكلم زرادشت :نيتشه،ص٥٣٠
([٨٤]) نقيض المسيح : نيتشه،ص٢٧
([٨٥]) هكذا تكلم زرادشت :نيتشه،ص ١٦٥

([٨٦]) المصدر نفسه : ص٥٤٣
([٨٧]) غسق الأوثان:نيتشه،ص١٤٦
([٨٨]) المصدر نفسه:ص ١٤٦
([٨٩]) هكذا تكلم زرادشت: نيتشه،ص٢٢٦
([٩٠]) العلم المرح: نيتشه، ص٢٣٨
([٩١]) المصدر نفسه : ص١٦٩
([٩٢]) هكذا تكلم زرادشت : نيتشه،ص ٤١٥
([٩٣]) أطلس الفلسفة : ص١٧٩
([٩٤])نقيض المسيح : نيتشه، ص٦١
([٩٥]) المصدر نفسه : ص ٤١٦
([٩٦]) العلم المرح: نيتشه،ص٢٠١
([٩٧]) المصدر نفسه : ص ١٩٧
([٩٨]) أطلس الفلسفة : ص١٧٩
([٩٩])غسق الأوثان : نيتشه،ص٣٢
([١٠٠])المصدر نفسه : ص٣٧
([١٠١]) ارجوزة جوهرة التوحيد:شرح إبراهيم الباجوري ١/ ١٢١،جامعة الازهر ٢٠٠٦
([١٠٢]) تفسير السعد:سورة البقرة،ص٤٤
([١٠٣])تفسير القرطبي :سورة البقرة،ايه :٢٥٥
([١٠٤]) تفسير السعد :ص٤٤
([١٠٥])تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام: عبد القادر السنندجي،١/ ٢٠١،جامعة الازهر ٢٠٠٦
([١٠٦])المصدر نفسه: ١/ ٢٠١
([١٠٧])تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام: / ٢٠١
([١٠٨])نقيض المسيح:ص٩٤
([١٠٩]) المصدر نفسه :ص٩٤
([١١٠]) المصدر نفسه:ص٩٣
([١١١]) المصدر نفسه:ص ٩٣
([١١٢]) المصدر نفسه :ص٩٤

ثبت المراجع

١-إرادة القوة :فريدريك نيتشه،ترجمة،محمد الناجي،افريقيا الشرق،المغرب ٢٠١١
٢-أصل الأخلاق وفصلها:نيتشه،ترجمة حسن قبيسي
٣-أطلس الفلسفة:بيتر كونزمان،بيتربوركارد،ترجمة:جورج كتورة ،ط١،المكتبة الشرقية ١٩٩١
٤-إنساني مفرط في إنسانيته:نيتشه،ترجمة على مصباح،منشورات الجمل،بيروت
٥-تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام:عبد القادر السنندجي،ج١،جامعة الازهر ٢٠٠٦
٦-العلم المرح:فريدرك نيتشه،ترجمة حسان برقيبه،ط١،أفريقيا الشرق ١٩٩٣
٧-غسق الأوثان:فريدرك نيتشه،ترجمة على مصباح،ط،منشورات الجمل،لبنان ٢٠١٠
٨-الموسوعة الفلسفية المختصرة:جوناثان ري،و ج.او.ارمسون،ترجمة فؤاد كامل، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠١٢
٩-نقيض المسيح: فريدرك نيتشه،ترجمة علي المصباح ،ط ١،منشورات الجمل،لبنان
١٠-المعجم الفلسفي: جميل صليبا،ج٢،دار الكتاب اللبناني
١١-هذا هو الإنسان:نيتشه،ترجمة مجاهد عبد المنعم ،ط١،هلا للنشر ٢٠١١
١٢-هكذا تكلم زرادشت:فريدرك نيتشه،ترجمة علي المصباح،ط!،منشورات الجمل ألمانيا ٢٠٠٧